

مَذَكِرَاتُ حَسَنِ عَظِيمَةٍ

بِقَلَمِ

33

٢ - ١

الاهداء

الى زوجتى الوفية ست الجيل التى صنعت معى احداث هذه
المذكرات وتلظت معى بنار الفن فكانت بردا وسلاما عليها. والى ابنى
محمد اهديها له عربونا لرضائى عنه واعجابى به.



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
والحمد لله الذي جعلنا من عباده المخلصين
والحمد لله الذي جعلنا من عباده المخلصين

* شكر وتقدير *

كثيرون هم الذين مدوا لي يد المساعدة ودعموا هذا المشروع
منذ فترة مبكرة وقدموا من العون الفني والمادي ما جعل نشر هذه
المذكرات ممكناً وعلى رأس هؤلاء أصدقائي الأساتذة:

★ شريف مطر

★ محي الدين قلب

★ يوسف طه ابراهيم



صورة للمؤلف عام ١٩٣٦م

الباب الاول

الميلاد والنشأة

أنا حسن محمد عطيه الريح على . . . ولدت في عام ١٩٢١ في حى في قلب الخرطوم . . . ومازال يتمثل في خاطرى حينما المتواضع القديم وكان يسمى «فريق المراسلات» ولست ادرى لماذا سُمى باسم «المراسلات» بينما كانت تحوط الحى أسر عريقة من مختلف الاجناس ومنازل انيقة حول هذا الحى «مثل اولاد فرج بيه ابوزيد، وعم الجزلى جد صديقنا عمر الجزلى المذيع المعروف واسرة عندوم (الاثيوبية) والد ملس ويوهانس وأمان وبيتين». وأمان هذا كان زميل في الانجيلية وهو الذى قام بالانقلاب الثالث المشهور ضد هيلاسلاسى في اثيوبيا. وقد أزيل هذا الحى وحل مكانه في الخرطوم الحديثة الحالية مبنى نادى العمال . . . وكان منزلنا في الجهة الشرقية منه.

وكان هذا الحى يتكون من صفين من المنازل المبنية بالأجر ويتكون كل صف من خمسة منازل متلاصقة وكل منزل يحتوى على غرفتين و«راكوبة» مصنوعة من العروق الخشبية وسعف النخيل والبروش وداخل الراكوبة «التكل» اى المطبخ، والمرحاض ذى الجردل كما كان حال المراحيض في الخرطوم في ذلك الزمان البعيد.

وكانت في مواجهة حينا زربية ضخمة للبهائم والماشية المجلوبة للبيع وكذلك ماتحمله على ظهورها من محاصيل معروضة للبيع ايضا، وعلى يمين هذه الزربية تقع مدرسة «كومبسونى» ثم مدرسة الارسالية الانجيلية ثم مقبرة ابوجنزير ثم مدرسة الخرطوم الابتدائية وكان مكانها امام فندق اراك الحالى. وكان رفاعة رافع الطهطاوى مديرها حينما من الزمان ولقد كانت هذه المدرسة احدى مدرستين بالعاصمة الثلاثة والثانية مدرسة ام درمان الاميرية وقد اشتهرت المدرسة الخرطومية بأنها قد رصعت من ثديها اجيال متعاقبة من المثقفين الذين قامت على اكتافهم نهضة السودان ورقية وازدهاره من اطباء وعلماء ومهندسين واصحاب اعمال وضباط في القوات النظامية وفنانين ومهنيين وغيرهم.

هذه المدرسة أزيلت الآن بكل أسف ليحل محلها برج إسكانى يقيمه احد البنوك التجارية.

انجب ابي من الست زينب بنت اليبه اخي الاكبر على ثم يوسف ثم شخصى
وفاطمة ونقيسة وعبد المنعم (عطيه) ونعيمه وصالح وسميت انا باسم جدى حسن بك
الكاشف

استقر ابي بالسودان فترة طويلة انجب فيها ابناء سالفى الذكر وفى ذات يوم حضر
احد اصدقاء والدى الذى كان معه فى سوريا ومعه خطاب من الباشا السورى يطلب
رجوع ابي لسوريا للعمل كما كان بمرتب اكبر ومساعدة اجمل .
وتحت هذا الاغراء رجع ابي ولكن هذه المرة كان العمل بمنزل الباشا السورى
(كهاوس كبير) ومعناها راعى المنزل ثم رئيسا لكل العاملين بالقصر . ولكن هذه المرة
لم يتحمل الغربة وخصوصا بعد ان تزوج واصبحت له زوجة وأثنين من الاطفال .
وطلب من الباشا العودة الى الخرطوم ولكن الباشا لم يستجيب . . وجرت المفاوضات
وتحت اصرار ابي بحجة الاطفال هناك . قال له الباشا احضر زوجتك واولادك
نعطيك منزلا وتدخل الاطفال مدارس البلد ويكون لهم مستقبل احسن من السودان
مع الاستعمار واذا استمرت معنا الى حين يتخرج الاولاد من المدارس سوف يكون
لهم شأنا عظيما .

قبل والدى السفر وتقرر يوم الرحيل ووصل ابي الى السودان والراوى لم يزل هو
ابى وكان يروى لنا هذه القصص دائما بالليل مثلها مثل الاحاجى . وكان يحمل معه
اشياء كثيرة وهى عبارة عن ملابس صوفيه وحرييره وروائع عطريه وحلى ذهبية .
وطبعاً انا لم اكن قد ولدت فرحت امى واطفالها وجيرانها ونحرت الذبائح ودامت
الافراح لمدة شهر كامل وفى هذه المرة لم يفكر ابي للعودة الى سوريا (لسوء حظنا) نحن
الاطفال تحت اصرار امى والغربة الصعبة ، توفي حسن بك الكاشف وتزوج بابكر
السريه وهو رجل غريب عن الست ام نفايل والدة امى واربعة البك كما قلت وكان
يعمل بمصلحة التنظيم وهذا المعلم موجود الى الآن كان قبل ان يكون مصلحة
التنظيم كان اول مستشفى للخرطوم وهو موجود الان كما هو بجوار صالة غرودون
للموسيقى

كان يعمل بمصلحة التنظيم معاوناً وكان يلبس الجبة والقفطان والعمامة مع
المركوب أو الخزاء من الجللد الانجليزى

طلب السيد بابكر السريه من ابي ان يسكن معه وزوجته واطفاله :
الحكومى لكى تكون امى مع والدتها وفعلنا تم له ذلك واستمر الحال الى ان

هذا المنزل وستحدد مكانه في الخرطوم هذا الحى كان يسمى باسم المنازل الحكومية في هذه المنطقة وهى حلة المراسلات ويتكون هذا الحى من صفين من المنازل كل صف مكون من خمسة منازل وكان يسكن هذه المنازل بآبكر السريه جدى وزوج جبوته وقصاده فى الصف الثانى الشيخ سليمان عبدالرحمن ابو حنك من قبيلة الجعليين وهو والد الاخوه عبدالقادر سليمان وحسن سليمان كان يعمل فى وظيفة رسمية بمرتب رسمى ومعها حوافز وعمله فى ذلك الوقت يسمى ب شيخ الخدامين وهو اول نواه لمكتب العمل اما ابنه عبدالقادر كان يعمل موظفا وكاتباً بالمديرية بجانب عمل والده كما كان نديا للشاعر المرحوم خليل فرح وقد كان اول من عزف الاغانى السودانية بالعود المصرى . اما حسن وهو الفنان الهاوى المعروف رحمه الله . زميل فى الكتاب بالخرطوم الابتدائية وكان أكبر منى بآربع سنوات . .

ومن الصف الاول يسكن رجل اسمه عمى جوهر وهو اصلا من الموردة وله ابن واحد واسمه حسن جوهر طالب بالمدرسة الحربية وعندما بلغت السابعة من عمرى تخرج حسن جوهر ضابطا برتبة ملازم ثانى (نجمه واحده) وأقيمت له عدة حفلات بموسيقى الجيش واغانى ورقصات اهل الحى لمدة عشرة ايام ويقاصده من هناك فى الصف الثانى الخليفه محمد الحنفى شيخ الطريقة الاسماعيليه ومن بين المنشدين أبناءه واحفاده وجيرانه وكنت من ضمنهم وكان هذا الشيخ قد خصص جزءا من منزله خلوة لتعليم الاطفال القرآن الكريم ودرسنا فيها نحن جميعا أبناء الحى قبل الذهاب الى الكتاب الحكومى . . أو الابتدائية الحكومية الوحيدة فى الخرطوم تعادها مدرسة اخرى بالقرب منها ومن سينما كلزيوم اسمها المدرسة الانجيليه وهذه الاخيرة ذهبت اليها بعد ان لم اوفق فى اجتياز امتحان اللجنة ومكثت بها اثنى ان تخرجت منها من ثانية ابتدائى . .

وكانت فى الخرطوم آنذاك اربع خلاوى هى : خلوة الشيخ الكتزى وكانت تقع جنوب المدينة وكانت خلوة نموذجية عامرة بطلاها . ثم خلوة الشيخ محمد بآبكر المقرئ المعروف وكان قد تبرع بمقرها الشيخ محمد عبد القادر تلب وتقع فى وسط المدينة فى المكان الذى تشغله الآن عمارة السيد على ابراهيم مالك ، ثم خلوة الشيخ عمر وتقع غرب الخرطوم بالقرب من عمارة بنك فيصل الاسلامى ، ثم خلوة الشيخ حامد وهو مصرى الجنسية وكانت اقرب الى الكتاب منها الى الخلوة من حيث التنظيم

وتدريس الحساب واللغة العربية الى جانب تحفيظ القرآن الكريم . وكان لها نشيد خاص بها ألفه الشيخ حامد ومطلعه يقول :

المدرسة السجاح اسرع وبادر
وحاضر ان يكون الوقت حاضر

ومن أبرز معالم الخرطوم آنذاك ميدان المحطة الوسطى وكان بمثابة ملتقى لكل



ميدان المحطة الوسطى بالخرطوم

خطوط الترام ولهذا كان تجمع للطلبة الذين يستقلون الترام ذاهبين لكلية غردون التذكارية في اقصى شرق الخرطوم او للخرطوم بحرى او ام درمان كما كان هناك خط ترام يدور نصف دائرة حول الخرطوم ولذلك سمي «ترام الدوران» وكان أول وآخر وسيلة نقل جماعى تنقل الركاب من شرق المدينة الى غربها حتى يومنا هذا !.



الترام بالخرطوم

وكان خط هذا الترام ينتهى امام مبنى الحقانية «الهيئة القضائية الآن» وكانت محطته قبل النهائية فى مواجهة «الخلوانى» وهو التعبير الشائع لاسمه الاصلى «مقهى وبار اللورد بايرون» وسأتحدث عن هذا الخلوانى باستفاضة فى مجال آخر من هذه الذكريات.

ويخترق خط هذا الترام شارع السلطان «شارع السيد عبدالرحمن المهدي الآن» وكان هذا الشارع من اهم شوارع الخرطوم اذ يمر بمعظم منازل الأسر الخرطومية العريقة بدءا من منزل الحاج عبدالله شرونى فالحاج عثمان النميرى فاسرة عباس النعمة واسرة شاه على بكش الهندى السودانى فاسرة الحاج جعفر النميرى واسرة المرحوم خضر حسن سعد واخوانه واسرة الحاج محمد حسن السواحلى واسرة على سلمان واسرة الحاج عباس على كمير واسرة عبدالله الزبير واسرة نجيب الاسيوطى واسرة عبدالقادر أحمد سعيد واسرة محمد عبدالقادر تلب واسرة حاج الخضر على كمير

واسرة فريد سيدهم واسرة آل دسوقي واسرة بابكر جعفر واسرة عبدالمجيد ادريس واسرة ابراهيم غالى وكان منزل هذه الاسرة مشهورا بانه يحتوى على معاصر للزيت بطريقة الجمال البدائية ثم اسرة حسن عبدالله واسرة طنون واسرة مصطفى خليل واسرة قسم الله سلمان وآل ابورجحه فمزل الحاج ابراهيم الموشلى واسرة يسر يعقوب ويضم منزلهم عائلات متعددة من بينها اسرة الشاعر المرحوم محمد على عبدالله ثم حوش اولاد الزبير باشا.

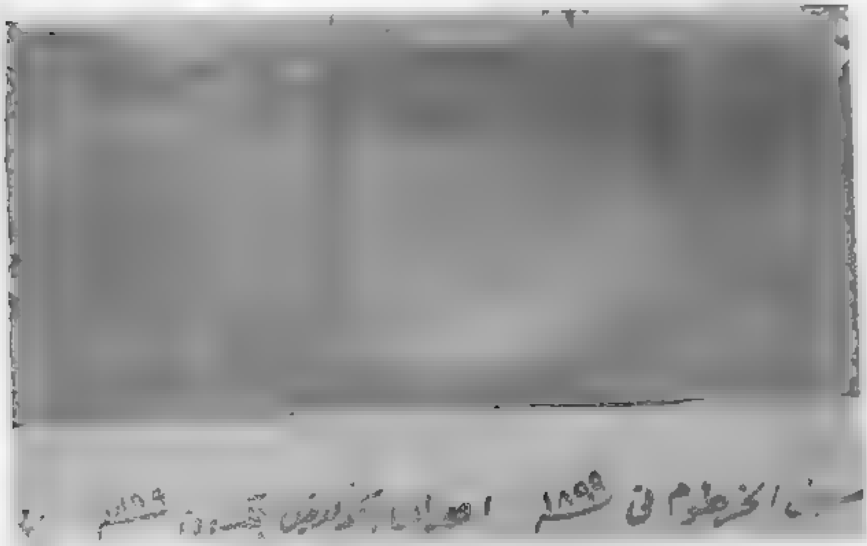
وكان فى هذا الحى ثلاث مقاهى بلدية هى : مقهى ومطعم الشيخ حسن سعد ومقهى الشيخ عثمان ابراهيم الزبيق ومقهى العيلفون . . . وكانت هذه المقاهى تدير الحكايات «الفونوغرافات» التى كانت تبث اغانى الرعيل الاول من الفنانين السودانيين والتى كانت مسجلة على اسطوانات كما كانت تبث اغانى المطربين المصريين كمنيرة المهدية وفتحية احمد وسيد درويش وغيرهم وكذلك فكاهات الكوميديين المصريين.

واذكر انه كلما اكتمل لدينا - نحن معشر صبية الحى - ثمن كوب الشاى باللبن هرعنا لاحتساؤه فى «قهوة العيلفون» المجاورة وقد كان ثمن براد الشاى فى ذلك الحين خمسة مليمات واذكر فى شارع ترام الدوران وبالقرب من كلية الطب زكية بائعة السمك المقلى والتى كان معظم سكان الحى يعقدون عليها الامال لتناول افطارهم واذكر ايضا السيد زكى ابراهيم صاحب اول محل للسندوتشات . وفى نفس الشارع يقع منزل أبناء فرج بك ابوزيد وهم سعيد وعبدالقادر وسقيقتهم الوحيدة والتى سأتحدث عنها فى مكان آخر من هذه المذكرات وبالقرب من مقهى الحلوانى «لوردبايرون» محل اشتهر «بالشيخ» وسلطة الباذنجان بالروبو وكان المحل للعم احمد عبدالله الجزار الملقب «باللوبة» وفى جولتنا هذه نتخطى شارع فكتوريا «شارع القصر الآن» متجهين شرقا فنجد منزل وديع دغمان «السورى» وهذا لقه وهو اول من احترف تربية الخيول وهو أحد مؤسسى سباق الخيل فى الخرطوم ووادمنى . ونمضى فى تجوالنا فنجد امام مستشفى الخرطوم «الاميرى» حيث يقع منزل اليكباشى أحمد حسين ويعده منزل الشيخ الامام رئيس مراسلات البريد والبرق - وكان للشيخ الامام هذا ابن يدعى أحمد وهو شاب اتصف بالاناقة وحسن المظهر وكان أحمد اول موظف سودانى بشركة الخطوط الجوية السودانية الى الجنوب ناحية السجانة القديمة يمر خط ترام الدوران بحى «الخرس» الذى يضم الضباط والجنود من حرس الحاكم العام . ثم

اسطبلات الخيول وينتهي الخط عند المدرسة الاغريقية حيث يبدأ خط ترام الخرطوم بحري والذي يمر أمام منزل المغفور له السيد عبد الرحمن المهدي ويسوت كبار الانجليز وكلية غردون التذكارية متجها الى كبرى النيل الأزرق.

الباب الثانى

الخرطوم أيام زمان



سوق الخرطوم عام ١٨٩٩م

حدود مدينة الخرطوم

كنت الخرطوم في ذلك الحين تحد شمالاً بالليل لاررق وشرقاً بكوبرى نيش
البريطانى الفاصل بين الخرطوم وبرى وجنوباً باستحكامات غردون ومحطة لسكة
حديد أما من ناحية الغرب فكانت تحدها حدائق «ركبى» وسواقى أبو حسيب
وكان سوق المقرن القديم هو محطة معدية أم درمان .

كانت هناك أربعة حيشان كبيرة تجاور حى المراسلات وهى حوش الدكتور معلوف
وحوش العمايا وفندق مصطفىان الارمى وكانت هذه الحيشان مأوى للساحين الى

الخرطوم والقاديين اليها من الاقاليم المختلفة ، وبجانب هذه الحيشان منازل خاصة بالاجانب وهم خليط من جنسيات متعددة فيهم اليهود والارمن والاغريق - والشوام والمصريون والهنود وكان هذا الكم الهائل من الاجانب يمتنون مهنا مختلفة .

يقع شمال الحيشان سوق الحدادين وهو سوق عامر تصنع فيه معدات الزراعة مثل الملوذ والطوريه والسكاكين وعجلات الكارو ومن اشهر الحدادين الشيخ الامين شيخ الحدادين وهو رجل انيق حسن المظهر يحافظ على نظافة هندامه حتى اثناء تأدية عمله . وكان الى جوار سوق الحدادين قصاصو شعر الحمبر وقد اشتهرو بذوقهم الرفيع وتفننهم في رسم اشكال هندسية جميلة على ظهورها . ولا نبعد كثيراً لنجد سوق « التماره » و« العياشه » وهو سوق عامر بكل انواع الحبوب والثمار والتي تأتي اليه من بقاع السودان المختلفة من قمر ودخن وصمغ وذرة ومن اشهر تجار هذا السوق الشيخ خاج الامين هاساي والد الاستاذ المرحوم عبدالرحيم الامين هاساي وكان بالقرب من متجره محل الحياكة البلدية وصاحب هذا المحل هو الشاعر الفذ أحمد حسين العمرايى ومن الطبيعى ان يصبح محله منتدى للشعراء يرثاه شعراء الحقبة مثل وداىرضى وابراهيم العبادى وغيرهما .

كانت كل هذه الاسواق المتجاورة تلتف حول ميدان كبير واسع سمي بميدان المولد وهو ميدان الامم المتحدة الحالى وكانت تقام في هذا الميدان الاحتفالات بذكرى المولد النبوى الشريف وكانت الاحتفالات في الخرطوم ذات طعم خاص وعلى الرغم من وجود احتفالات زفة المولد في امدرمان والخرطوم بحرى الا ان سكان المدينتين يحرصون على حضور ليالى المولد بالخرطوم لطابعها الخاص فقد كان التحار يحلبون الحلوى من الشقيقة مصر وأذكر تلك السيدة المصرية البدينة [امونة الحلونجية] التي كانت تظهر ايام المولد وتبقى فترة طويلة بعد آخر ليلة من المولد تبيع الحلوى في ذلك المكان . كانت ليالى المولد من امتع ليالى الخرطوم .

وكانت متعة هذه الايام عامرة للصغار والكبار وكانت الاستعدادات له تبدأ برقة رمضان ومولد الرسول صلى الله عليه وسلم تسبقها استعدادات من جميع افراد الشعب ويهتم بها الصبية والاطفال بصفة خاصة يخرجون في مواكب تتقدمها فرقة موسيقى البوليس وبعض الصباط وصف الضباط والجنود يتقدمهم فدرس يمتطى صهوة جواده شاهرا سيفه ثم الطرق الصوفية بنوباتها واناشيدها ورتل من عربات

الكارو محملة بالمحتفلين واصحاب المهن المختلفة حيث يتبارون في الهتافات قائلين كلمة معروفة جداً بينهم وهي (العز ليين . . للحدادين)، (العز ليين . . للنجارين) و(العز ليين . . للجزارين) وهكذا بقية المهن وكانت الزفة تقام في كل مدينة من المدن الثلاث يقابلها الناس بالتصفيق والنساء بالرغاريدي تسير (الزفة) في اهم شوارع المدينة رستهي بها الطواف الى ساحة المولد في المدد الثلاثة حيث ينتظرون زيارة الحاكم العام ومعه العمدة ممثل الادارة الاهلية لبدأ ريارته بخيمة الحكومة لفترة بسيطة ثم يتجه الى خيمة السيد على الميرغني ثم خيمة السيد عبد الرحمن وهكذا يصرف الحاكم وتستمر اخر ليلة في المولد . وكان لكل من الطرق لصوفية سرادق وكانت تتنافس في تأسيس تلك السرادق وتجميلها ومن اشهرها سرdaq الحكومة وعلى يمينها سرdaq السيد على الميرغني ويسارها سرdaq السيد عبد الرحمن المهدي والقرب من هذه السرادق سرdaq ساحات الاحتفالات في العاصمة المثلثة .

كانت الخرطوم مقسمة في ذلك الحين لاربعة اقسام هي الأوسط ويشرف عليه العمدة محمد كرم الله ، والشرقي تحت اشراف الشيخ حسن سليمان والغربي للشيخ احمد صر ويشرف على القسم الشمالي الشيخ عثمان مصور . في تجوالها داخل سوق الخرطوم هناك اماكن لم تقف عليها مثل زنك اللحمة والذي كان مكانه الحالي وقد دخلت عليه بعض الزيادات مؤخراً . كان شيخ الجزارين عام ١٩٢٠ يدعى الشيخ سعيد الفوراوي حلقه على الشياحة الشيخ على سلمان ثم الشيخ احمد حسن يسن والشيخ عثمان احمد حسن ياسية . «نجل الاخير» هو شيخ الجزارين الحالي وهو خريج نهائي التعليم الثانوي وأثر ان يواصل مهنة اسلافه عزوفا عن الوظيفة الحكومية . وكان هؤلاء الرجال مثالا للأخلاق الفاضلة الكريمة يرتدون «هوط» بيضاء ناصعة البياض

تعكس بدء سيرتهم فتحسهم وكأنهم ملائكة الرحمة . وكانت هناك رقابة على السحوم
و هيام بالكشف نصحي عبيد ويتم دمغها مرتين مرة في السلحابة «المدبحة» وأخرى
«بالزئك» وهي لا تحتاج لكل ذلك في تلك الايام .

كان هؤلاء اخر ريس في اخر لنهار يعودون في منازلهم على ظهور الحمير التي كانت
وسيلة النقل الوحيدة وهي مشابهة لمسدس لان . كانوا يعودون لمنازلهم ليتهندمو
بمحار ثياب مثل الفرحة واقطعت والباطو والعمه المنفعة والطاقيه الحمراء [شعل
بنت الحلي باليد] يهدمون يسفون في المساء بالمغاهي .

وبجوار ريك اللحمة سوق احضار وكان مكرماً من دكاكين [حوايب] صغيرة
مصممة في شكل مشات رادت من روعتها . وكانت الخضر والفاكهة تحمط بالماء
نصف احضار حبات اهل ذلك الرمد فتحس فيهم روح الدعابة يقولون
السمة والترحاب وذكر مهم لشيخ السواحلي ومامون المعلا ومحمد جعفر وشيخ
الحضرية الشيخ نمر .

على بعد امتار من ذلك السوق سجد مطعم الفوال وهو مكان مطعم الفوال خالي
وصاحبه محمد علي الفوال .

كان المطعم يقدم في ثلاثة وجبات صغرى فقط هم الفول والطعمية ويأتى الزبون
لهذا المطعم من اماكن بعيدة .

وذا التحب شياً لا سجد الحلواني (اللورد بايرون) وهو ملك ليوناني وكان مكان
نسك التجارى الكاش شارع الجمهورية حالياً ، يفتح الحلواني مكرماً ليقدّم في
اصح شاي باللبن والزلابية يعمل الحل لموظفي المصرف وكانا مصريين هم نسك
الاهل المصري وكان مكان ورارة ثقافه والاعلام لان نسك باركليز [نسك الحارطوم
الاب] وينع مام ورارة الثقافة والاعلام وكان الحلواني يقدم ايضاً [وحدة الافطار]
سدونشيت لموظفي اخفابة [القصاصه] والمالية والبوستة ولتتعارف وكل المؤسسات
محبورة له والتي لم يطرأ عليها حديد الى الآن . وكان هو كل ذلك مكان للقاء
الساسة والتجار يقصون فيه حل وقتهم يعقدون فيه الصفقات وكل رجال الجيش
ولشرطة والموظفين في عطلاتهم السوية يجتمعون في الحلواني . وكانت الحركة تقل فيه
عند الظهيرة الى ما بعد غياب الشمس حيث يستأنف نشاطه مساءً حتى الساعة
الحادية عشر مساءً .

يتألف الحلواني من ثلاث صالونات امامها فريادات دائرية ومساحته تسع حوالى

٣٠٠ منز واداخل اليه من نسب ثرييسى المغنيل للعرفة التحارية لموجوده الان في نفس مكانها يقابل الكاشير [عامل الحرية] وعلم ما يقوم بالمحاسبة ليوناني صاحب خلواني نفسه أو أحد اجداله وعلى يسار [الكوثر] نار صغير وعلى اليمين صابون مزسس نافجر الأثاث من الكراسى وموائد مسقة شكل جميل وباهتمام دلع وتلاحظ اعباية الفائقة في نظافة واني الطعم ومشروبات وكانت كلها من الزجاج ولصيصي وكانت تقدم مع المشروبات الروحية صاف من الحسن ولقول السودبي والريون والبيض بي يهازي تسعة اصناف مختلفة، تقدم لربون مع طينات مشروبات وكان للخلواني طبق مميز من عجار تقدم مع قنية الخمر والمثير في هذا لطق انه يحفظ بحرارة الطعم لمدة طويلة وحصة طبق المسطومة دليص كما يقدم للخلواني وحبب طعام اعريقيه الى جانب ما تقدمه من موحب الوطنية المعروفة في جانب آخر من خلواني ضؤولة سيدردو ومكان للعب الضؤولة والده مسو [نصمه] والكنشتنة ومن المشروبات اعبارة يقدم الخلواني الليمونة البضاء والجنحير والجنحير ويقدم هذه المشروبات تلاحهو المسيحيين لان هذه مشروبات كانت مسموحة على مسلمين السودايين صافه الى ذلك يقدمه اساسطة المشهورة باسمه والخلويات.

نترك الحيوانى ونخرج الى شاطئ النيل الازرق وبطولة تسعة مندول فقط هي
سراى الحاكم والسكرتير القضاى ثم السكرتير المالى والسكرتير الادارى ومهندس
الرى المصرى ومدير المصلحة الطبية واقائد العم ثم سراى السيد على اميرعى وأخيرا
لمصدق الكبير والى الغرب منه حديقة احيوان وجنية أولاد ركبى للخضر والفاكهة
وهى مكان قاعة الصداقه الان وعلى مقربة من النيل الابيض حى المقرن وعازن



مركب توتى «المعدية»

السكر والعلال وعلى شاطئ النيل المقابر نجد (لاسكنة) وهى ميناء البواخر النيلية
المتجهة للجنوب والشمال وهى مكان كبرى النيل لابيض قبل تشييده . وكان الناس
يتقلون بين الخرطوم وامدرمان بياطرة نيلية [وابور البحر] والمراكب لشراعية وقد
سمى حى لموردة بهذا الاسم لورود الاخشاب والضائع اليه من الجنوب والشمال .
واستميح القارىء عدراً فى ان اصنف كل أوجه الحياة فى المدينة وان ادلف به لجانبا

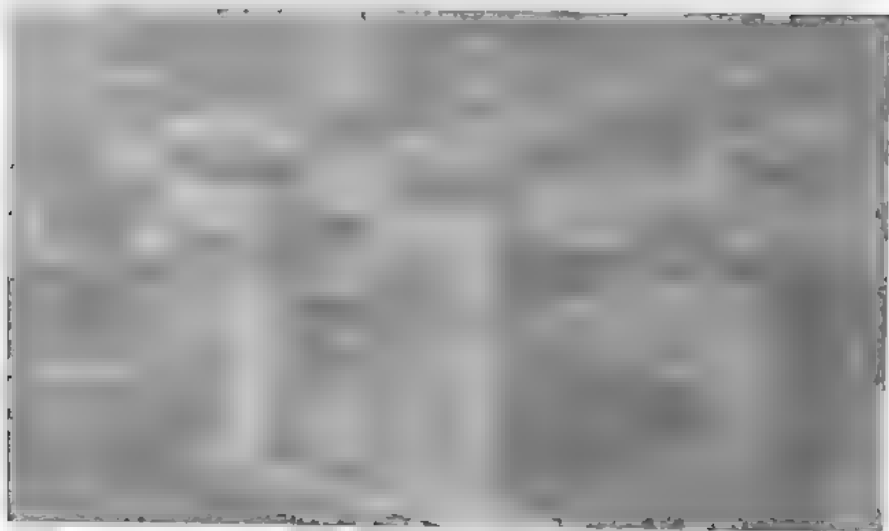
تخبر يمثل جزءاً من التراث الشعبي الا وهو دينا الانادى [الانداية] وهى اماكن بيع
« مريسة » اد كان العامة يلحأون الى الانادى ولم يكن للانادى مكان محدد وانما كانت
تتوسط الاحياء وتنتشر بينها وكانت تميز بالبيارق ولكل انداية شيخه [صاحبها]
وشيخة الانداية هى التى تحدد لون البيرق عى مزاحها والانداية منقوله من تشبهتها
عائلات (الس) بانجلتر اى الاندية البلية التى تنتشر فى كل حى هناك.
تحيات نحن بالاندية احمد الموجهاه فيتولى اصدقائه اكرامه وذلك بانزال البيرق
ويسمى ذلك ان الانداية قد دفع سعراً فيها من مريسة. وذاها يعنى البيرق ان العمل
بالانداية مستمر ونزاله يعنى نفاذ المعروف من المشروبات اى [لمريسة].
المشروبات ورحل القنات الضميمة والاطباء وهم قلة فيلتقون فى الاندية
السودانية مثل ردى الخريجين وغيره وأندية الجرائيات مثل النادى السورى والمصرى
دى النساءى كان حيثئذ على راس طباء مستشفيات العاصمة المثلثة اطباء
سوريون ومصريون.

في المصنفين من لمعار كان يسكن فيها قريب الدكتور على خير من الرعي
الاول لكثير من السودانية ويسكن بساتين اشقاء والدتي عبدالله سليمان
وعند قنطرة من كبار يعملون بالقضائية حجاب محكم والجرء الاخير يسكن فيه
رئيس عجورق من المعاش واطفه كان من ضمن الفراشين والمراسلات وكان لا يعمل
شيء انه ابن سيدة عثمان احمد فقير وبنت اسمها فطمة فقير وكان يطالب بارض
حرة او الارض التي تقوم عليها القضائية الا ان ملكا لاييه وكانت هذه الحارة محاطة
بسور ليعيش والسمح ويسمون بالعيشه او انتازه وهناك الرام الكهربائي وفي نفس
المكان سوق الخلدات والخلالير المصنفين اسنى ادمين والدواب كانت حلاقة الحمير
جمدة عند الارح حلقى الحمير كانوا يفتشون في رسم الزخارف بالمقص الكبير.

في دابة نهرتي كهناوى لعزف العود والغناء ذاع صيتي في حينئذ طلبة
الاساتشي وكلية غردون التذكارية وطلبة كلية كشتنر الطبية. حيث احدثت المنافسة
بين طلبة كلية غردون وكلية كشتنر في الاستثنائي وايضا روائعهم وهم د. ابراهيم
المقرن، ناظر حراجه تحت كير الجراحين د. مين ود. عبدالحليم محمد ناظر الطب
تحت د. هينوس كير الاطباء ومدير المستشفى. ود. على بدرى حكيم باشي
المستشفى والشيخ لطيف مدير معمل المستشفى



كلية غردون التذكارية



طلبة كلية غردون

فكر د. ابراهيم المغربي في فكرة جهنمية لاكون بجوارهم ان يقدم لي عملاً
يناسب مؤهلاتي فتم استدعائي لمكتب باش كاتب المعمل حسين فخري حيث تحدث
معي باللغة العربية والانجليزية فاذا به امتحان خفيف جداً فاجابني بعده بانني قد
قبلت كطالب بمعهد التحليل الطبية (استاك) بمبلغ ١٥٠ قرش حيث ارسلت فوز
تخرجي كمساعد معمل تحت الشيخ الطيب.

وكانت فكره عظيمه جداً من د. المغربي حيث تحصلت بها على وظيفة حكومية فل
ان يحصل عليها طالب بهذه السهولة فشكرته جداً حينها ولا زلت ارفع قبعتي تحية
واجلالاً لشخصه العظيم. بعد ٤٠ عام،

والشرف مكون من عرقين وحمام وحوش صغير. وبعد ان استقرت وعرفت المرحوم محمد ابوراس ناشكبت المستشفى الذى سهرنا فى منزله وطردنا الى الساعات الاولى من صباح اليوم الثامى . وذهبت فى الصباح الذكر الى المستشفى لكى استلم العمل ومريت على كل الاماكن بالمستشفى للتعرف على الاخوة والزملاء وبعد عشرة ايام وصل الدكتور محمود على حمدى بيسم الدكتور عبدالحليم وينتهى التسليم والتسلم فى ظرف سبع ايام ولكن هذه المرة استمر خمسة عشر يوما والسبب وحودى رمودى وصونى واحتفالا بالسف والحلف وقصيت احمل وامتع ايام حاتى الصيانيه سواء كان فى اثناء العمل او اوقات الفراغ . وانتهت مدة المأمورية وودعت بمثل ما ستقبلت به وروودوى باشياء كثيره الى مدينه سحجه وكانت لا تبعد كثيرا عن مدينه سحر وحصل نفس الاستقبال وكنت مدينه سحجه ايضا بالنسبة لى كاختها مدينه سحر . وتعرفت على عوائل كثيرة اذكر منها أسرة الخويرص (على وسليمان وعثمان) ورحعت خرطوم وبنا فى منتهى السعادة ووجدت الخرطوم حصل بها بعض التغيير حيث ردهر الفس وليالى الافراح والديالى الملاح . . وانتظرتنى مفاجأة وهى انى التفتيت بفتاة جميلة جدا ومن اجل بات جيلها وعرفت انها من بلد أبى رفاعه (قرية بوشام) وجبيتها وحسنتى كثيرا وعرفت كل ظروفها واثناء هذه اللقاءات ازداد حبى لها وملك على كل مشاعرى وفى عمرة هذه السعادة افاجأ بمدير العمل شخصيا يدعوبى لمكتبته ويأمرى بان اذهب لمدينه حنما التوفيقيه لاعمل هناك فى مأمورية مع الدكتور محمد أحمد على الله يرحمه وهو من نفس المنطقه وكانت مهمتنا جميعا بالمستشفى هى معارية مرضى الحمى الراجعة والتايفود الوافدين الينا من مصر وكانت الحمى فى مصر شكل وبئى وكانت الايام ايام حرب وكانت كل الحيوش العائرة فى طريقها الى شمال افريقيا عبر الصحراء تمر بوادى حنما وكنا نعمل لها اللازم من حيث الفحوصات والتطعيم والحرب على اشدها وفتاة سمعنا ان تونس قد تحررت حيث كانت قد سقطت فى أيدي المحور من قبل . وطبعاً كنا نحن مستعمرين والبلد مليانه انجليز ومصريين وفرح الانجليز واحتفلت كل بلاد السودان بهذا اليوم وحلفا بالذات لان كان فيها مدير المديرية الادارى وقائد الحاميه العسكرية ومدير المصلحة الطبيه د. بريدى ومدير السكه الحديدى ومدير مكتب السكه الحديد الا ح عوض عى وهو موجود الان ويسكن بحرى . واصر مستر جكوبس على عمل حفل كبير تشترك فيه كل فئات الحكومه والشعب وكانت كل حلفا تعرف ان هناك فى المستشفى

شاب يعمل فحیص بالمعمل وهو فتان یغنى ويعزف على العود ومن اوائل الذیر تعنوا بالاداعه وحتى كبار الانجلیر یعرفون هذا وفکر المستر (جاكوس) ان یدعونی لاغنى فی الحفل الکبیر المقام على ظهر باخرة نيلية وعمل تلفون سریع للدكتور محمد أحمد على لابلأغى هذا الامر بصفته مديری ورئيسی وفرحت جدا بعد ان علمت من الدكتور هذا الخبر واتى ساعیى أولا فی حمل كبر جدا، ولناسبة هامة وتاريخیه وقدت لدكتور محمد أحمد على ارحو ان لا ترخص هذا الطلب فقال لی الدكتور (ارخص ازاى دا انا حاعمل لبك هبصه كیره فی هذه الحكاية لانه تعرف يا حسن أفندى واحد زيك مطرب وعارف فی الاداعه، لوفی لندن مثلا فی يوم زى اليوم دا یدفعوا لیه مائة جیه تعرف مائة جیه یعنی ایه؟ یعنی انت حتكون من أحد اغتیا حلقا ما بین يوم وليلة) وقمت وفعدت وضررت معی لحمه شديده جدا وتحركت مجهودات الدكتور واتصل تلفونيا بمدير السكه حديد المسر جاكوس واتفق معه انه سيقفل الفنان لی مكان الحفل مترعاً بعربيه، من المستشفى لی مكان الحفل لكن المستر جاكوس قال لدكتور محمد أحمد على انهم سيقفلون الفن بترولى بعد مد خط فرعى من خط سكه الحديد الرئيسى المار من امام المستشفى وستمنحه هديه رفيعه المستوى وفعلاً عمل الخط.

وفی اليوم المحدد وصلت عربیة اترولى المعروفة بالسكه حديد وبها مدير مكتب سكه حديد السودانى (عوض على) واستقبلنى انا وعودى وركت ركه ملوكيه وان فی قمة السعاده ووصلت مكان الحفل واستقبلت بالرعايد والتصفیق من كل الجموع المحسدة على ساطىء السبل وأحييت حفل بصوره رائعه وودعت بمثل ما استقبلت والعربى فی الموضوع المدير «طش» من حكاية اهدیه الرفيعه واكتفى بعملية نقل بالترولى ودى كنت حكيه كیره والعربى حقا ان هذا الخط الحديدى الفرعى كان ممتدا الى داخل المستشفى الى ان غمرته مياه السد العالى!.

العودة الى الخرطوم

بعد ان عدت من تلك الاموريات الثلاثة الى الخرطوم حیثها كانت داعمة اسد رمان فی بداية تأسيسه وثبت رساله يوم الخميس من كل اسبوع لمدة ربع ساعة تبدأ فی

سادسة مساءً لتنتهى فى السادسة والربع وكنت براجمها حصة دقائق قرآن كريم وحصة أو عشرة دقائق اخبار ثم اغنية وطنية من اخراج محمد احمد سرور، صباحاً فكرة لاداعة واول من قالها امدرمن السيد حسين طه زكى اتصل بي وافوصى بعبء الاداعة على ان يزيد من رمز البث ليصبح نصف الساعه ومرة فى اسبوع لكن تعاليد وعادات اسرتي وتمسكها كانت عتقا فى طريقى الى الاداعة فقد كانت نظرة المجتمع للمغنيين نظرة طملة وكانوا يسمونهم «صعاليك» وذلك لان مغنى تلك الايام يعيشون على لمناسبات ويقصون مع العريس اربعين يوما كمنية على فترة الزوج وما يسبقه من «خطوبة» (ودق الشلوفة) وقولة خير «ودق اريجة» وقدمومة العريس «ومشط العروس» «وقطع الرحط» و«الحنة» و«الدلكة» و«لدخلة» و«هت حرم» و«السبوع» و«الخمسة عشر» و«الاربعين» وكل هذه العادات يشارك فيها المصريون ليسر سقوا المنسوب الفسا وقد بركت تلك المشاركة انطباعا سيئا لدى المجتمع.

ولكنى بعثت على هذه المشككة واقتنع سررتى باننى لا يمكن ان اصبح مثل ولئت «الصباح» فان موظف عمل بالحكومة ولا وقت لدى وعملى يحتاج الى صفاء ذهن ومهمنى ان شحخص نوع المرض ليحدد الطبيب العلاج واى احقاق قد يزدى بحياة انسان وهذا مالا ارضاه ولا اقبله.

فى ناحية ثانية نشب براء حاد ترعمه دكتور هورحان مدير المعمل من ناحية وفى ناحية لآخرى مسر آربر مدير مكتب الاتصال العام وكان الاول يريدنى ان استمر فى عملى بالمعمل بينما يرى الآخر ان اكون مصرى مصرى وحسمت الامر من جانبى وقررت موصلة عملى كمنى بالمستشفى وادى ذلك لمكائنات بين المعمل والمخابرات «مكتب الاتصال لعاد» انتهت بكلمات مدير المخابرات لمدير المعمل بذكره بان حرب لامرطورية يجب ان تحتره وحاء فى حديثه «ان هذا الشاب حينى يغنى فى الاداعة سيكون مثل السكر بعد تنوب ابدوء» كانت هذه كلمات مدير المخابرات والذى ظل يصبر على وحودى فى الاداعة . . . وانتهت المشككة بان اعنى فى الاداعة

تهبت الموقف عندما علمت نى ساغنى فى الاداعة لوحدى وما كانت الاداعة حبها الا غرفة ضيقة لا تزيد مساحتها عن 6 امتار مربعة تجاورها غرفة مشبهه لها تفصل بينها نافذة راحية وكانت الاولى استديو والثانية محطة ارسال كل ذلك فى بوسنة مدرمان القديمة. تهبينى من لغناء فى تلك الحجرة خلق ازمة جديدة وفكر

الاستاد حسين طه ركني في مخرج في من هذه لازمة وقال في بحرب هذه اللعبة وان
 تعجبك سنحاول طريقة اخرى وانفق على اللقاء في وقت حار
 كان الرجل ذكيا حذو ففكر في القديم برحلة سريعة في امدراس منطقة ادراسه على
 شاطئ ليل بالقرب من منزل احد اصدقائه وذهبت برحلة وكانت رحله عادية في
 ذهبت الى مكانها اذكر انه كان يحمل قائمة اسماء لاجوة المستفيدين في لرحلة ومن
 ضمنهم فوزي حسون والشاب رمزي كبلاني وشقيقه كبلاني عبد نقدر و...
 القاضي المرحوم عبد الرحيم ادريس.

حدث ذلك في يوم جمعة واستمتع بقصص وقت جميل اكلت وشربت وصرت بعد ان
 سبتت في الصرب وتشمس نذرت الالف توفع الغباء وندت ما فشي كسب محورها
 وكانت عن عدائي بالادعة واحيرا قلت بعداء في الاداعة لان اليوم يوم جمعة وعلمي



القصر يوم رفع العلم

ن الاداعة لا تث ارساه فوافق حسين وقابى «ولا يهملك سرى الامر بعد نصف
ساعة» فركبو لعرنة ملاكى الوحيدة وهى ملك الاح زمرى كيلانى واصطنوا بها
للحروطه وقاتلو المنسبر زمر مديح المحدرات الذى كان على عنقه تاج من بحرى فى ذلك
اليوم مندبديه وقابو له ان حسن عطية قبل ان يغنى بالاداعة وهو مع الان وقد
عند كى ما يرضيه وهو حاهر فهل تاذن لنا نفتح الاداعة ليغنى حفلا كاملا من ثلاث
اعيت فوافق لمدير عن الفور وافر فتح الاداعة وذهبت مع تلك المجموعة
بكمبها كى فوزى حسن، وزمرى كيلانى من الاصوات الجميلة التى صحنى
بالغناء (كورس).

كانت محطة الاستقبال واحدة ولا توجد غيرها فى السودان وهى الميدان الفسح
الكث من التوسنه وهى عبارة عن صندوق معلق على ربة ارجل خشية طويلة
وكان يستمعون بمتفر حوها ببدان السمع احذر الحرب واحفل العاصى
دخلت نذك الخجرة النصبعة لنى وضعنها وعيت ثلاث اعيت هى بالترتيب ن
سهران يابل ثم حذرى وحيرات ليد صاح وكانت تستطرى مفاحة م
حضرت ن على ن وهى حسبها حساب عند خروجهى من العرفة الاداعة فى هاية
الحصل الى الشارع فقد هجعت على عداد هائلة من الخهبر وكنت ارتدى بومها
قميصا ابصر [شورت] ككى وسر ن شورت وحذاء [ناتا] ككى اصبا
وكانت هذه النسبه تسمى ماستى، همتى تلك الخهبر على الاعلى ويدا بعضهم
يمرق قميصى ويحكمونه مديل ندى وتدخل الاستاد ادور ذلك عطية نائب مدير
الامن وهو ليدى الحسية وكان قد حضر لرفه الموقف فتدخل واستدعى سولس
نقطة المحط الوسطى وتقدمى من نذك المعجين الذين كان همهم الاحتفاظ
بماديل من ملابس الفذل ليشب لندى نعى لاوب مرة من اداعة مدرمان ولاوب مرة
يعنى بالعود وكان شيئا حديدا بالنسة ثم وقد اطفئ لنى بالعود لان واحد من صراط
الشرطة حفظه ودخله عربة الشرطة وبعد جهد جهيد تغرق نذك خموص واسقيت
باصحابى وكان نصمى الاعلى عاريا تمام وخمس حظى كى ن صديق طبيب
مستشفى امدرمان ويسكن بالقرب منها فذهب ن جميع لروى ن ما حدث واستعرت
منه قميصا وكان صديقى هو الدكتور المرحوم عثمان رضى يفا جدا وقد فرت منه
بقميص (حبيب) يلىق بمطهرى كسان وسهرامه نذك البينة سهرة تمتع تبيت بعد
ان عرفنا ان لا نسمح لوانا كانت معروفة فى دنك ارمى لسفلها لانساء هذا الحيل

بعد أربعين عاماً أو أكثر.

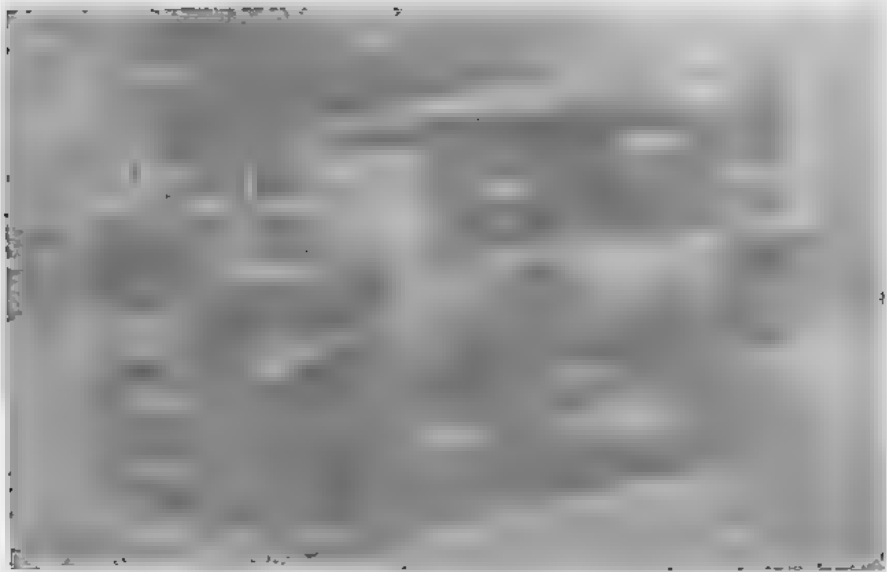
في صبيحة اليوم التالي لذلك الحمل ظهر عدد لا حدى الجرائد ويحمل على صدره تهينة للإذاعة على اختيارها للمطرب الحديد صاحب الصوت الدائم واشادت الصحيفة بصوتي ووصفته بلغة رقيقة وقبل ان تكتمل فرحتي بتلك الاشادة حتى شررت الصحيفة نفسها وبعد يومين فقط مقالاً لشخصية كبيرة تصف غنائي بأنه من الغناء المفسد للأحلاق وأنه نوع من انواع (التمتم) الرافض فائزى ذلك وحملت الصحيفة وزهبت من نوى لمدير الاذاعة وقلت له منفعلاً هل قررت هذا المقال؟ فأجاب بالايحاب . فقلت له ما رايتك فيه وقبل ان يجيب على سؤالى اردفت انا لى اعنى بعد اليوم فى الاذاعة . وكان قرارى هذا لاننى لم اسمع بقداً قبله وكان اول نقد فى حياتى حولى من غمرة الفرح الذى كنت اعيشه الى غضب شديد من ذلك النقد الموجه لى .

وبعدوء تام تحدث ال مدير الاذاعة وقال لى ان الرجل صاحب المقال لا يملك ان يوقف الاذاعة او المطرب لان هذا العمل لرعة راية الامبراطورية امان الحرب . فارتحت وهذا بالى وواصلت مشوارى بالاذاعة .

ولكن قبل أن يتسنى لى ذلك وفى صباح احد الايام استدعانى مدير المعمل وطلب منى ان أسافر للدويم بالنيل الابيض وذلك لظهور ثلاثة أوبئة هى الملاريا والحمى التراجعة « لتايرويد » والالتهاب السحائى فقد ظهرت هذه الوبئة فى الدويم وما حاورها من قرى قلى وشبشة وكان ذلك إبان الحرب العالمية الثانية .

كان قرار سفرى الى الدويم قائماً ففكرت فى تنفيذ رغبة رؤسائى فى عملى الدائم فطبتت ادما من الاذاعة لمدة عشرين يوماً وبعدها سأواصل مشوارى معهم فوافقوا ورتت نفسى وشددت الرحال لى مامورية جديدة بالدويم ووسيلة السفر فى ذلك الوقت هى وانور البحر (البخرة النيلية) ومحطة قيامها بالمقرن مكان فندق الهيلتون الآن .

وكان فى ذلك المكان حتى المقرن وسوقه المنتظم واذكر ان هناك عيادة بالحى وكان الترام يشق الحى فى طريقه الى ام درمان وذلك بعد تشييد كبرى النيل الابيض . اعود مرة اخرى الى قصة سفرى الى الدويم فى ذلك اليوم حرمت حقائى وركبت عربة اجرة « تاكسى » حوالى الخامسة مساء وكانت البخرة تبدأ رحلتها فى الرابعة



التاكسي قديما

صباحاً ففتح الكبرى بعد توقف الحركة واليومور أو الباحة كنت من ثلاث درجت
أولى وثانية والدك «صهر السفينة».

وفي محطة أباحرة فوجئت بعدد كبير من «صدقاتي» وأحمدني محمد لوداعي
وكانت لحظات رهيبية. ذكر من حضرها حسن سيرور أحمد المصطفى وأحمد
إمام دون حوان الشلة الشاب الأليق الموسيم وحسن أحمد حسين شقيق الدكتور
حسن طيب العيون المعروف واس البكباشي أحمد حسين صاحب «سطوة» وعظمة
فهو من كبار الضباط العظام ورتبته بكباشي [مقدم] وأذكر أيضاً «صديق» الأعريقي
استناسي ابن الست كاتريفا المشهورة بتجارها النسائية ولها شارع الآن باسمها
باخرطوم (٣) وقد سمي باسمها نسمة شعبية وكان استناسي صاحب صوت عظيم
وكان يعني بالأعريقي فيجيد، وبالمصري فيندع وبالسوداني فيتحنن فقد كان سوداني
بالميلاد وأعريقي بالأصل.



السفر بالليل قديماً

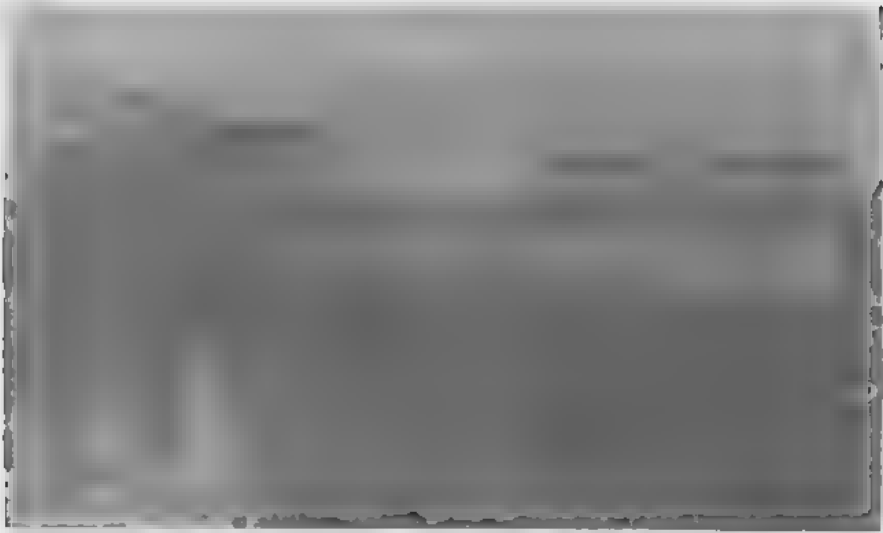
ومن بين المودعين كان هناك احمد عبد المجيد شجر الحيرى (رحمه الله) وهو حفيد العمدة محمد على كرم الله عمدة الخرطوم واحمد كان موظف بالمخازن والمهمات وكان «فتوة الشلة» .

ومن المودعين ايضا طالب الطب محمود حسين محمود والذي اصبح قائدا للسلاح الطبى برتبة اميرلاى ومحى الدين تلب الموظف بالموسسة والتلغراف والذي صار اول مدون لاول برلمان سودانى وظل في هذه الوظيفة الى ان قام مجلس الشعب وترك الخدمة بعد ان حاز على نوط الجدارة للخدمة الممتازة . وصالح ابراهيم العبد وكان محاسباً وصار اول مدير لسك امدرمان الوطنى بعد ان رجع من هجرته لاثيوبيا وكان اول سودانى هاجر خارج البلاد طناً للخبرة والعلم بعمل السنوك هناك

. والاخوة ابناء العم عبد الرحمن الصائغ وابن اخيه العظيم عبد الرحمن وله نادرة لا بد لي ان ارويها فهي عزيزة على نفسي عزة صاحبها الى . ففي حفل وداعى والذي كان قبل يومين لم يكن لديه ما يقدمه وما كان يملك شيئا ذا بال غير سته الذهبية فما تردد في مشاركتي بها يملك حيث ذهب الى العيادة وخلع سته وباعها في سوق الصياغ بسبعين قرشا وقام بدفع مصاريف الحفل كله . أعود مرة اخرى للباخرة وأصفها كانت الباخرة جميلة ونظيفة جدا ويحارثها كانوا يلبسون لونا واحدا هو لون البحارة اللون الازرق اما الكبائن (الغرف) كانت تحتوى على سرير حديد من سسته ومرتبة من القطن الصافي ومخدتين من ريش النعام ومروحة وتبريزه وكوسى داخل الغرفة تستعمل كسفره وتبريزه مكتب وحوض لغسيل الوجه وحرس لنداء الفراش اما الحمامات فلها جزء معين من البابور . ثم سطح الوابور ومقدمة الوابور مفروشه بكراسى تسمى بالدك جبرز ويجمعون فيها كل ركاب الدرجة الاولى والثانية عند الوجبات يذهبون الى صالة السفرة العامة للدرجة الاولى والثانية عند الاكل للثلاثة وجبات وبالليل يسهرون في سطح الوابور على هذه الكراسى الوفيرة ما طاب لهم من السهر حيث يلعبون الطاولة والضمنه والكتشينه ويزاولون كل انواع الترفيه .

جاء الى المحطة في ذلك اليوم عدد كبير المودعين والمودعات من اسرتي وأهلى وأصدقائي من جيراننا ومعارفنا ومن بين اللائى حضرن لحظات الوداع تلك الفتاة التى وصفتها بأنها قد اثرت في قصة حياتى وكانت تقف وسط المودعات وتلوح لى من على البعد .

لم تتحرك الباخرة في مواعيدها وتأخرت حتى الساعة الرابعة صباح اليوم التالى انتظارا لفتح «الكبرى» . كان تأثير تلك اللحظات بالغاً على نفسى فدخلت غرفتى وانكسأت على السرير باكية حتى دخلت في اغماء افقت منها عند فتح «الكبرى» لمرور الباخرة . كان الوقت حينذاك تباشير الصباح مازالت في خدرها . . وماء الليل من حولنا والضفتان يلفها سندس اخضر ونسبات الصبح العليله تبعث في النفس امل العودة واللقاء ودعت الخرطوم وكلى شوق اليها فهي مازالت امامى ولا استطيع الوصول اليها ثم فتح «الكبرى» ومرت الباخرة بسلام وكم هو جميل منظر فتح الكبرى والذي كنت اراه لأول مرة ثم زجر صوت مكناات الباخرة مدويا وبدأنا رحلتنا الى الدويم وبعد قليل بدأت الخرطوم تغيب عن انظارنا رويدا رويدا حتى اندست وسط ذلك الثوب الاخضر .



كبرى النيل الأبيض عند فتحه

بعد طلوع الشمس خرج الركاب الى سطح الباخرة وفوجئت ان من بينهم وى
الغرفة المجاورة لى عريس وعروس وكان هذا العريس المهندس حسن عتباني وهو من
مواطنى الخرطوم بحرى جلسا جميعا على ظهر الباخرة وتناولوا وجبة الافطار وى زمن
وحيز كما جميعا كأسرة واحدة نتسلى ويتحدذب اطراف الحديث وما ان جن الليل
وضرب قبابه من حولنا حتى طلب منى العروس ان لاغنى لهم فعبيت وسهرنا وشاركنا
السهر ركاب الباخرة.

وبعد ان عدت الى عرفتى لم يعرف النوم الى جفنى سبيل واستمرت الرحلة. كانت
تقدم لنا وجبات فى الباخرة ولكن عدم توقف الباخرة فى اى محطة أو قرية كنت تسابق
لشراء الدجاج والبيض واللبس والخضار الطازج والفواكه من الباعة على
الشاطئ واستمر الحال الى ان وصلنا خزان جبل اولياء وكان مطراً جميلاً ولا يستطيع
كيف اوصف الباخرة فى ذلك الزمان فكنت غرفها جميلة منسقة ذات فرش ابيض
ناصع ومخدات من ريش النعام وخدمة ممتازة من المسئولين من الوايور لم يوجد لها مثيل
الان كلما وقفت الباخرة فى محطة ولثلاثة ايام بلياليها وصلنا اخيراً الى الدويم وكانت

المفاجأة.

وحده - كان ساء بعصمه واصدقائي في نظر ناحرة تده وتوا الى المحطة لاستشفي وكان عن رأسهم لاج يسكن حرج خضر عن كنه حرج كنية مشتهر - رعية في قصر وان سر تحر حرطوه (سحر لبحار) كلمة تصق على اكثر تاجر سمعه بحدة وصدق ومدة كان يسكن حرجي وس حجي وندكتور عثمان وعكر صلب مستشفي ومحمد تدهر متشش الصحة ومصطفى ابو رنده - صر مسسسي ومرحوم حسن كافي - سمهندس لري ومرحوم لمهندس ابو نع - لمهندس ابو لريش والمزجه محمد عمر يسكك ثاب المصور . . ومرحوم لبيد السيد محمد صدف اسرحه واشتد الصريف المذهب القمار المطيف حجيل الانصاري.

٢٠ مقرر وان سكر مستشفي ولكن كل هؤلاء الاحوة اصررو لكي اقيم معهم وحده سسر راعي عن سكر مع لمهندس بوالعرثم ابو لريش وذلك لانه اس حجي وكان في سني تقريبا.

سمعت في اول ليلة عند دخول الدويم يسكن حرج حلوس يعني ومرح ويستند بنا لظنه سمعت ثاب المصور الشاب الدقر السيد يريم بكتب اعنية لياي يالباي نعدده تاني بهذه هي قصة الاعنية المشهورة يام ماكت لاهي ما يعرف الموم لاس مدعوت السعدية وندوم وينول في الاعنية المتول باس حليله ويسكي الخ.

سبب عن المتول ومن تكون وماذا يعني النافر ويبكي فحكوا لي قصة حبه وقالوا به قصتي مأمورية في الدويم ووصفوا لي تلك الليالي التي قصاها بالدويم الجميلة فسأت عن النمل مرة اخرى فقالوا امه فدة يامه وثقة لجمال غضة الشاب قل ان حدد ما لزمان مثلها وسألت اين هي الاز؟ هل تزوجت ؟ م رحلت ؟ وعدمت م رندوم ولكن صاحب مقول لي الحصوص ويعني لآخر ايامه في المدسه وقد صاب حذبته ووصفهم لستور مكان في نفسي فدأت أسل عن مكان لستور هذه وكتب دهشتي عظيمة حيا قنوا لي انها تعمل معي وسألتهم معي ان ؟ وحذوا بالاحباب وضاف حدهم انها تعمل بالمستشفي بعنر الحريم اطرس ذلك خدشت فت في بشرة ثروية تلك الشخصية وطلبت اليه في تلك الاخلاصة ان يكتب لي قصته لانه لاغيبها له فطار فرحت وامسك بعلم وورقه وكتب لقصيدة باصابع

مرتجفة .

وصعت الاغنية امامي على فانوس اجار اكبير وكان لهذا الفانوس قصة طريفة كان شريط الفانوس غير مستقر يعلو وينخفض فترى وتيرة نعيش في الظلام لم تكن الكهرباء قد دخلت الدويم على ذلك احد عنيت الاعيه كما كان يؤديها وكان هو يعتمد على غطاء رحاحات اللمونادة في ابقاعه فيصربه على جنبى المقعد فيصدر ايقاعا جميلا .

قضينا تلك الليلة مع طيف البتول واعية البول فزادت ليلت بهجة حتى لم يرى جفى المنام في تلك الليلة واستيقظت مبكرا على غير عادتي ومصيت أنتظر الساعة السادسة تنحرق وشوق لكي ارتدى ملابسى واكون في المستشفى في الساعة ميعاد لعمل وصلت الى مكسي وذهبت توارى مكاتب رؤسائى وزملائى للتحية ثم ذهبت الى عنبر الحريم وسألت اول مريضه في العنبر عن استول فأشارت لى على مكها بجانب مريضة اخرى وكانت تقوم بتغيير فرش المريضة ذهبت تجاهها ووقفت امامها محييا فردت لتحية فعرفتني بنفسى بطريقتها السبئية ردت على قائلة اهوده نت واجبت بالايحاب ولا اذكر تلك الاحاة غير اننى مارلت اذكر ما اعترانى في تلك اللحظة فقد وقفت واحا لحظة حسنته دهر وسمعت بعدها كلمة «شرفت» ان شاء الله تقضى معانا ايام حلوة .

ظهرت ثنى يوم تنادى الموظفون ركبت موضع حفوة من جميع الكل يريد ان يحدثنى والكل يريدنى ب حسن لى حوره . . وهالت على الطنبات والسعوات وزدنا لا تنزل على الطنبات وان احمل سر الحياة العود والصوت الجميل وأول مرة يصل الى الدويم فتان يحمل العود .

بدأت عملى بمستشفى بعد الاحراءات لروئية والتسليم والتسليم وبعد أن نشرت عملى لايام اقاموا لى حملاً لنادى عنيت فيها فطارت شهرتى بعدها الى القرى والمدن المحورة وهتت اسلاك التلمونات تحمى ذلك البأ لى كوستى وعبرها . وكما يحدث فى كل الاقاليم شب البراع بين المركز والمستشفى فاحتكرنى الاطباء واثرت ذلك النقية ولكنى استطعت ان اتغلب على ما تسبب لى من مشاكل واحتوتيتها بحجة ان موظفى المراكز هم اصدقائى واساء بدى ولكن كانت كفة المستشفى هى لارجح دائما .

ولم انج من كل المشكل فقد كد مكنتى لى جانب المرضى يعج بالمعجبين الذين

يأتون لرؤيتي والتعرف على .. اخترت شلتى من الدكتور عثمان ابو عكر طبيب
المستشفى والاخ يس حاج الخضر وعلى طاهر مفتش الصحة والجبل الانصارى وكنا
نسهر سويا يوميا ولا فرق بين رئيس ومرووس فقد كان المفتش الطبي يرأسنا جميعا
ومشول عن مستشفيات المديرية وكان الدكتور الفاضل البشرى ونائبه حكيمباشى
المستشفى الدكتور حبيب نراهما فى بعض المناسبات.

سافر صاحبنا الباقر وهو يغنى البتول يا ناس حليلة الى لحظة قيامه متجها الى
الخرطوم وكنا فى وداعة بالمحطة فكان يلوح لنا بمعديله الابيض ونلوح له الى اختفت
الباخرة عن عيوننا فى الافق البعيد عدنا بعدها وعادت الحياة كما كانت وترتبت حياتى
الجديدة وزاد فيها حب جديد لم ينسى ذلك الحب الذى لقيته فى الخرطوم ولكنه اخذ
حيزا فى حياتى وكان لكل واحد فى الشلة حب فى حياته بعيدا عنه الا انا فقد فزت
بقرب عشيقتى وكان هذا سر سعادتى .

كان الاخ يس قد قضى فترة كبيرة فى الدويم قبل مجيئى وبعد ان جثت ارتاح
بوجودى فلما قرب موعد انتهاء مامورتى بدأ يحس بالضيق ويحكى لى عن سجنه الذى
سيكون فيه بعد رحيلى وكان يغنى كل صباح ونحن فى طريقنا للعمل اغنيه من تأليفه
ويقول فيها «الدويم انا ما لقيت لى منك مره .. لا بى حرقه لا بى غرقه» .

وكان فى هذا الجو يعانى آلام الغربة وما يلاقيه بعد سفرى ولكنه فوجئ بـ بتلغراف
يخطر به بنقله لرائقو بسنوب السودان فجئن جنونه وسافر الى الخرطوم بعد ان قدم
استقالته . وقبل سفره اتفقنا ان نلتقى فى مقهى الخلوانى بالخرطوم واخبرته باننى قد
مللت العمل فى الحكومه وسأقدم استقالتى قبل لقائه .

قصيت بقيت ايامى بالدويم مع بقية الاخوة ومع البتول فسارت الحياة على منوالها
الى ان انقضت ايامى بالدويم وعندما هممت بالعودة قررت الرجوع عن طريق كوستى
لزياره صديقى الطبيب البيطرى ابراهيم خليل التى كانت كوستى اولى حياته العملية
والذى اخبرته هاتفيا بمواعيد زيارتى وكانت فرصة لى لاشاهد مدينة كوستى لأول مرة
وكان السفر اليها باللورى وتستغرق الرحلة حوالى السبعة ساعات . حجزت فى
العربة اللورى ولا اذكر الآن اسم صاحبها ولكن كانت البتول على علم بمواعيد سفر
العربة .

اخذت مكانى فى العربة مبكرا ودارت فى مخيلتى اشياء كثيرة اولها شريط الذكريات
العطرة وليالى الدويم وقضية سفرى دون اذن وحبنى الجديد وفى غمرة هذا الخضم من

الذكريات حانت منى التفاته فاذا بالبتول تقف امامي ويقول لى «جئت لوداعك منى
لحد هنا لا سأقدمك الى كوستى . ادينى عقلك ايها القارى الكريم انها لحظة لا تنسى
وبعد برهة جمعت فيها ما تبقى لى من قوتى التى هدها حول المفاجأة وسألته بكلمة
كانت تستخدمها فى مخاطبتى وهى كلمة «يا أنت» سألته بتكلمى جد يا انت؟ فردت
[أى بتكلم جد يا أنت] ولعلها كانت حينما تنادىنى بهذه الكلمة ما كانت تعلم ان هذا
التعبير الجميل قيس من مطلع قصيدة الشاعر الفحل محمد سعيد العباسى «رحمه
الله» والتى يقول فيها :
كانت تنادى وتحكى البدر مبتسما

يا انت ياذا وعمدا لا تسميى
جن جنونى حينما ركبت بجانبى وانقضت الساعات السبعة [زمن الرحلة] وكانها
دقائق سبع لم ارى خلالها غير وجه البتول وحينما لاحت مدينة كوستى لناظرى قميت
لوانها تباعدت .

وصلنا لكوستى وكان صديقى الدكتور فى انتظارى ومعة عدد من اصدقائه واول
كلمة بعد السلام قال لى بعد ان انتحى بى جانباً من اين هذه القبيلة؟ فقلت له هذه
ضيفة من الخرطوم انت فى اجازة لزيارة اهلها بكوستى ركبت معنا بالصدفة، ودعتها
وداعا حاراً وذهبت الى اهلها . وذهبت أن مع بقية الاخوة الى منزل الدكتور وقضينا
ليلة مع أولئك نفر انتهت بصلوع الشمس .

فى صباح اليوم التالى شددت الرحال الى الخرطوم ووصلتها وذهبت الى منزلى
أغالب النوم فيغلبنى تارة وبعد ان تبادلنا التحايا مع أهل بيتى ذهبت طوالى غرفتى
واستغرقت فى نوم عميق انساني مشقة السفر وعناء الايام الفائتة، وصحوت فى اليوم
التالى ولا يشغلنى شاغل غير رؤية فتاة أحلامى فذهبت اليها بمنزل اهلها بالخرطوم
وقضيت عندها النهار بطوله وجزء من الليل امتع نفسى بالحديث اليها وابلل شوقى
برؤيتها وانقضى ذلك اليوم وكأنه برهة عدت بعدها الى منزلى وتعبات لاستقبال يوم
جديد قررت ان يكون يوماً لتنفيذ ما قررته .

صحوت مبكراً فى ذلك اليوم وارتديت ملابسى الرسمية وذهبت الى المستشفى
وهناك دخلت على صديقى الباشكاتب المرحوم حسين فخري ووجدت عنده صديقى
المرحوم محبوب عبد القادر المشاوى وهو صديق دراسة وكان يعمل كاتباً بالمعمل
القيت عليهم التحية فقابلونى بالترحاب وبادرنى الاخ حسين سائلاً برضك مصر على

السفر؟ فأجبت قائلاً؟ لا يا فتد اننا دبرنا حالي مصر على تقديم استقالي و اردت
يسألني ناسهش «ماذا تقول»؟ فرديت بأدب وحسرة عملاً قلبي كم سمعت
فقاطعي سئلاً سمعت ايه ٤٤ واستفانة ايه ٤٤. يد لخصل في حرجه ٤٤ قلت حصل
كل حرج وحيل وقد قضيت عشرين يوماً وما حله حالي حيلة فاست براسي ٤٤ اصححو
منه ولما حدث وصحوت فررت لا أسفر مرة حرجي لكي لا أعيش حياتي كلها
احلام. ويكنني ابي فصيت خمسة أشهر كاد قلبي ان يتحطم فيها

دار بيسا جدد طويل ولم ينته لي شيء ذهبت بعده لمقدمة المدير الاحمري مستر
هورقن ودخلت عنيه وحكيته له موضوعي وهو مسكي ٤٤ على كرسية اوثير لفاخر ومجرد
ان انتهيت حتى تحرك بكرسيه لي انوراء وقال لي. حسن فديت ما تعرف بحرج
في حرج ومموج الاستقلالات ودي في لقبول ده سمع مجرد عن العمل وعقوبه سه
شهور سحر قلت له لا يهسي ذلك وسافسي ستة شهور بالسحر قال ما تحول
يازول.

رددت عليه ان عاقل وكويس من فقدت ابرعة في العمل ومجرد سمعه خمسي
توقف لخواجة عن المناقشة الخطورة عما قلت فكبري فقدت ابرعة يعني ذلك كثر
بالسبة لنوع العمل الذي اوديه وحصة ان عملي يعقو حياة الناس ٤٤ على ٤٤ عمه من
انني قلت تلك الكلمة لمجرد التخلص من الحكومة.

وتريت المدير فيلاً ثم قال [حدا احارة يا حسن فديت ابرعة اسبوع وتعد سوف
وعدت بعد ان يقضي الاسبوع وما أكثر صبر على الاستفانة في كارسه الار قب
استقالتني ونظرا الى ما كنت اتوقعه من حرجين سرقة لمعمل كرمين وهذا فقد تجمع
زمانني كلهم ساعة حرجي من لمعمل وحسب مني انتقامه فحدث كل سرقة لمعمل
والمدبر بيهم يظفرون لي في حجرة لوحده بيدي مودعا وحرجت من عنة الباب
لادخل حياة جديدة «حالي شغل» كم كانت تسمى في ذلك الوقت [نظرا] فكاتب
هذه لكلمة تطلق على الرجل حتى العمل ويسمى صائر - رحمت ديب الضرب وحياة
ليل سهر الليل ونه نهار كنت ذهب في ابر ماء الى الارعة وعدها لي اسرج
او بيت لا فرج وكنت تقضي عشرة حبات مقدس لحفل فسمها كالاني اربعة
جبهات لاعضاء القرعة المستقبية وحبه لمواضلات وخمسة حبات من مصبي
وتقضي خمس قرن نظير حفل الاداعي والدي بيت ثلاث مرات في لاسبوع
حدثت في يدية مذكراتي عن (شنتي) والتي كنت من سوء الحلي واضمق عليها

اسم (نادى البرش) وكان مقر النادى امام منزل عضو الشلة أحمد امام اندى كان يقوم
بفرش (البرش) لقلعة الكراسى فى ذلك الوقت وكنا نجتمع من السادسة مساءً ونستمر
حتى العاشرة حيث تهدأ الحركة وتسكن المدينة وتقفل الحانات والمقاهى والمحلات
التجارية وتخلو الشوارع الا من رجال الامن وعسكر الدورية وبوليس السوراي وكان
من يقع فى ايديهم بعد الحادية عشر سباق للحراسة بالمدرية ولن تشفع له غير هويته
فإن ثبت لهم اخلو سبيبه وإن لم تثبت هويته ادخلوه السجن الى اليوم ثلثي .

أعضاء نادى البرش كانوا جميعهم اندى دون الثامنة عشر وكان فى مقدمتهم
مرحوم ابراهيم المفتى لمحامى والذى اصبح وزيراً فيما بعد وصب انطى محمود
حسين الذى صار فيما بعد قائداً للسلاح الضبى والشب الايبى الدكتور نصيدنى
المرحوم على حبرى والذى كان يعمل مع الدكتور معروف الذى ورد ذكره من غير هـ
لمكان ولاخ المرحوم صالح ابراهيم العبد والذى صار اوف مدير سدائى لسنك
امدرمان وهو من أوائل عرثى العود والمرحوم موسى عبد لكريم طالب بكسه لرداعه
ومدير مصلحة الزراعة لاحقاً، والاخ المرحوم محمد يوسف على اوف صبط مصطفى،
والذى تدرج الى ان وصل الى اعلى لرتب وذهب للمعاش . واغدا احدى حسن
سبيهم شقيق الاستاد عبدالقادر سبيهم استادى ومعلمى العرف على لعود، واشب
انستاسى ابن ست كاترين كيم اسلفت الاشارة اليه وطالب كنية عبدو حسن حمد
حسين بن الكناشى احمد حسن انوظف بالخييش لاجبري ونصديق لنجوى الذى
صار من كبار التجار والفصل الشقيق، وقاسم محمد الايبى صار من كبار
لاداريين، والاخ محي الدين تبم الذى اصبح كبير مدونى مجلس شعب والاخ
عبدالرحمن محبوب «الصائغ» رحمه الله واحبنا الاخ حمد عبدالله عطا لندى سع
اعلى الرتب فى الطيران المدني .

كنا نجتمع نحتسى الليمون والشى «المع» وكنت هذه المشروبات تصنى حو
خاصاً على جلسائنا وتحذب أعضاء الندى فيحرضون على احصو اليومى وللصحة
كانت أصوات جميع أعضاء الندى فى غاية الجهد وكانوا يضطون الايقاع على ربيطة
«قبة» من الفلين ان لنا صدقاء لم يرد ذكرهم فهم يأتون الى النادى حسب طروفهم
منهم عسكرى (الكديت) الدكتور النور عبدالمجيد لندى صار كبير حصائى امراض
القلب والصدر بمستشفى الشعب وشقيقه الدكتور احمد عبدالمجيد الذى صار كبير
احصائى طب وجراحة الاسنان بمستشفى الخرطوم والاخ عبدالرحمن صغيروب التاجر

أول مدير لمحلات المعروضات المصرية والاخ عبد الماجد عوض الكريم من كبار
الاداريين في السودان كانت شلة الانس هذه تجتمع وتنفض لتجتمع في يوم جديد الى
ان فرقت بيننا الظروف وما انقطع حبل الود بيننا الى الآن.

الباب الرابع

الحرب العالمية

ثم قامت الحرب العالمية الثانية وتم حفر الخنادق في المدن الثلاثة وتطوع الشباب وانخرطوا في جيش المتطوعين واذكر منهم المرحوم حمزة موسى والاخ المرحوم مصطفى خليل وموسى حسين وحملوا السلاح «والكمامة» ولأول مرة وصلت طائرات الايطاليين وقصفت الخرطوم وام درمان وسببت قلقاً شديداً وهنع بين المواطنين وظهرت اغاني الحرب مثل:

الله لي الليمون ستايته عشية

طيارة جات عصرية تضرب الخرطوم

ضربت حمار كلثوم ست اللبن

والمقصود بضرب الطائرة للحمار انها «اي الطائرة» لم تصب اهدافها ودخلت البلد في حالة حرب فقفلت المدارس وبدأ صرف المؤن بالبطاقات وارتفعت الاسعار وظهر اثرياء الحرب واغنى الحرب وبنيت الحرب. وتصدى الجيش السوداني للذود عن الحدود جنبا الى جنب مع جيش المستعمر الانجليزي ورابطت القوات في كسلا والقضارف وبورتسودان وخشم القرية والقاش على ان يكونا على حدود اسمره وسافرت فرق اخرى لشمال افريقيا وكانت كل هذه البلاد خاضعة للاستعمار الانجليزي عدا شمال افريقيا وسمعنا لأول مرة صوت مستر تشرشل رئيس حكومة بريطانيا العظمى من المذياع ينادى المستعمرات البريطانية ويستنفرها للمشاركة في الحرب الى جانبهم لينالوا الاستقلال اذا تم لهم النصر فكان ذلك حافزاً دفع بابناء السودان للتطوع وسافرت قوات دفاع السودان، وظهرت الاغاني تمجد جيش السودان وشبابه وتتمنى لهم النصر والعودة سالمين فظهرت اغنية «جاهل صغير وحمامه ودوه خشم القرية يا الله عودة سلامة

وعليه يحو عسدين بالسرعة والمسكيم وكان صاغطا في ذلك الوقت الشن احمد محمد باشا و ابراهيم عبود و محمد عبدالله حامد واللواء عروة واللواء السحارنى وحسن شير واللواء طلعت فريد واللواء رضا فريد واللواء احمد عبد الوهاب واللواء اخو ص والواء المنزى وعبد الرحيم شان واللواء يحيى امين احمد عبدالله و نور باشا حمرة شير والعميد على صالح سوار الذهب و حمرة شير طمس وعبد الرافى حبر السيد ومحمد يوسف على والعميد عبد الحميد حبر السيد وعبد الرحمن حمدان واللواء الرئيس حسن نصيب اننى ستحدث عنه في مكان آخر من هذه المذكرات واللواء احمد الشريف احمد ب والعميد ابو بكر فريد والاصدقاء يحيى حسين و حمرة حسين ، رحم الله من مات منهم وامد في عمر من بقى .

فعندما علمت زوجتى بدء مسير تشرشل للمستعمرات البريطانية فقد سألتني ماذا لا تطعن ؟ وردت لقد سمعت ان لكل جيش من جيوش لمحور فرقة موسيقية لترفيه عن الجنود فلماذا لا تشكلوا فرقة موسيقية جنود الموسي ؟ وقعت حبتها على فوجت في تفكره عظيمه فمت في الولا سرع في تنفيذ ذهبت للاح حسن طه ركني لما له من مكانة في الاوسط ترسميه كرجل اعلامي ودعوى وطنيته ان يتوسطى لاعمل في وطنتي القديمة ، فحيص بالاسلح لطفى وقل ان كمل حلينى ق طعى

فضل . نعرف كسبه التى ترفه عن جنود لمحور قلت لا قال كلمة ان من مختصرة من اربعة كلمات معناه فرق لترفيه على جنود في الميدان ، بكسلا وحسن التفرقة كانت ان اضرب من الفرح وسنته (متى يكون ذلك) ؟ فود على لان عدد من لفسين مهم سرور ، واحمد المصطفى ومحمد احمد ذاكو والسر عبدالله سيقومون بهذه لرحلات وستكون ات من صدمهم ومبسط معك ابراهيم الكاشف ومحمد احمد دكو الى كسلا وحشيه التفرقة ، وسرور ، ومحمد المصطفى والسر عبدالله الى طرابلس على ان تتبادلوا المواقع حسب ظروف المناطق العسكرية :

وكان ان يدنا رحلتا الى شرق السودان وكانت رحلة الحرب دثرة وذهب الى كل المواقع المذكورة . استغرقت لرحلة عدة رحلات حلنا خلالها كل ميادين لقتال ترفه عن جنود بوسائل وبخفت عنهم الام عربة وكانت رحلة مخفوفة بالمعاطر وحرب مستعرة حدودها ونوت اقرب لهما من حلل الوريد ويكفى خطأ صغير يؤدى حجة

الواحد منا .

كانت رحلتى الأولى والتي صممت ابراهيم الكاشف ود كوانا الى شرق السودان عن طريق اسكسكه حديد بالقطار الملون بلون صحراوي لتصلب الاعداء سافرا الى كسلا والقصارف وتغلبا بين معسكرات الجيش في اسمره وقصبا ياما لازلت اذكرها مادنا نعيش فوق طهر لسيطة كانت باما حلوة برعم قساوتها كانت الضائرت الايطالية تعبر العاصمة وتصل الى امدرمان وتعود فوق رؤسا الى قوعدها انقصت نلت الايام في شرقنا الحبيب وعدنا الى الخرطوم لبدأ رحلة جديدة طوية سافر فيها الى شرق افريقب ويصحبني الاخ الاستاد أحمد لمصطفى امد لله في عمره .

فتحركنا من الخرطوم الى القاهرة وعده وصولنا الى لقاهره ارناسا ملاس الجيش اشام وكانت عمدة عن بدلة عسكرية من الصوف اخالص وذلك لطريف الرد في تلك المناطق أى مناطق تواجد الجيش الثامن فشت لينا شتاء قارس وهات

وصلت الى مصر وقاسد الصابط مسئول وكان ملازم ون الثرين حسن طيب فقابلنا ه حنا وأخذنا مباشرة لمعسكر تحضر سى يوسف اهرم ويعد معسكر بحوالى ثلاث كيلومترات هاية حط ترم هرم كان نضلام قد عم المكان وبين حقول للذرة لشامية العربة التى اقلنا وظلام داس بنف مكان عطفه حين مصيبح العربات .

وصلنا المعسكر وبعد سهرة صغيرة بهيس انضاط حلدا بعدة لنوم نستقل ليوم الثانى في ملاسنا العسكرية التى صرفت لنا وكان مطفرا بالنه عسكرية جميل جدا ومضحك اخيلنا فرحا بهذا الرداء حديد ولذى رتديه لأول مرة وهو لى ميدان أولس حمسة (كم سمية العسكريون) كان مرافقا في لرحلة هو الملازم أول الثرين حسن وقد مرت ن حدوث ونوادى سوف اذكرها في جانب اخر من هذا الكتاب صرفوا لنا مبلغ من مال المندنة مصرية لشترى حاجياتنا سعدا لالرحلة ونودع بها حياة المدينة وعى لرعم من حضرة لرحلة فقد كا فرحين وكا لا حسن بدلت لخطر المحقق ما كا فرحين بهذه الرحلة التى تتيح لنا التعرف على بلاد حديده ورس له نراهم من قبل والاث خروب التى شاهدناها وقد كن ريد هناك هون احرب من دنات وعرب مصفحة وطائرت وكلها محظمة ومنبوهة رعم حدائتها وساهب صفائح الوقود لقارعه متانرة على مد لنصر ولو فكر شخص في جمعها لاصبح مبيوت

في رمان كانت فيه النصيحة لفرقة لا تسوى أكثر من قرشين.

قل ان اسرد عليكم رحبة لذهاب أود ان اتوقف قليلا لاحكي بعض مما حدث
 بالهجرة فقد قصيب بها ايما حلوة مع طلبة السودان وهم احمد سليمان طالب
 لبقور وعي محمد ابراهيم طالب لبقور ايضا وطالب الطب عز الدين عي عامر
 ومحمد امين حسين [رحمه الله] وكان الاخير محاميا وجدته في تلك الايام يتراعى في
 قضية مصرع نصابة اسمهان والشاعر الصابو المرحوم عبدالمعزم عبدالحى هيب
 حسن حامد والمرحوم عقيل احمد عقيل الضايى بكليته الحقوق والدكتور ابو حسن ابو
 وطائب لطيف محمد حامد صالح الملك والمرحوم عبدالمجيد ابو حسيو الطالب بكليته
 لحقوق وبعض الاحوة السودانيين العاملين بمصر وهم كثر وأصدقونا الشباب
 بالاداعة المصرية (ركز السودان) وكانوا اوف من احتبوا للعمل بها هم المرحوم
 الدكتور محمد المعتصم والشاب فؤاد عمر والسيدة ثريا جودت والشاب عاصم دنانة
 ومومن النجار والمرحوم عبدالرحمن صالح ومحمد الامين الاسمر وهم عاملون بالاداعة
 في لاد. اذاعة ودي اسيل الخالية يتساوون فيها اعلى المراتب.

انقصت الفترة المحددة للاقامة بالقاهرة وحنت ساعة الرحيل الى ارض المعركة
 فارتدين الزى العسكري وركبنا القطار من محطة مصر الى مدينة العلمين حيث نزلنا
 مترحين في صفوف وتم تطعيمنا ضد بعض لامراض وقد عانينا من مضغفات
 التطعيم ولم ندق طعما لنوم ليومين ماعدا احمد المصطفى الذي تهرب من التطعيم.

بدأنا عمسا من أول معسكر ويقع بمدينة (برقة) وهى مدينة وديعة وحمية بدها
 الطيبان كمصيف لهم تطل على البحر المتوسط واسمها الاصلى (درنه) وكانت هذه
 المدينة على شكل قلل هلة ممتلئة بالضجيج الطليانى ولكن خروجهم منها لمها بوع
 من هذوء الغريب فاصبحت المدينة مهجورة سبب اخرب الا من بعض الرحل
 الليبيين برل من لقطار في تلك المدينة فقد كانت اخر محطة للقطار فى الاتجاه الغربى
 واستنداء بالسيارات التى حملت الى داخل المدينة لتى يلها صمت رهيب وظلام
 دامس تتخلله انور تتبع من أماكن متفرقة الى ان دخنا الى المعسكر. وبعد السلام
 وتحتيا أقمت الخمل وكان بمثابة وداع للجنود المقيمين بمدينة لانهم كانوا في طريق
 العودة وكان القطار الذى اقلنا الى المدينة سيحملهم في رحلة الايام الى مصر
 فالسودان.

في صبيحة اليوم الثانى قمنا نودع الفرقة المسافرة وصادفنا شاب سودانى تعرفنا عليه

وعرفنا انه مسئول عن الزراعة في المنطقة كان هذا الشاب هو (حريز) من اهالى برى المحس . أكملنا يومنا ذلك وهو يوم راحتنا مع الاخ حريز الذى دعا اعيان المدينة من العرب الليبيين وقضينا سهرة ممتعة جداً .

في اليوم الثالث واصلنا رحلتنا بالسيارات لنمر على كل الوحدات وكان الشاريء المسفلت واحد يمر بها جميعاً وقبل ان نتحرك تلقى الاخ الزين حسن الضابط المرافق برقية لنا تأمره بان لا يحد عن الطريق المحدود مهما كانت الظروف . لحظورة الطريق ومزارع الالغام فأثار هذا النبأ فزعنا وتأكدنا اننا قد تورطنا ونحن امام تجربة قاسية . تحركت السيارة التى تقلنا وهى لورى كبير مزود بكل ما تحتاجه الرحلة وكنا بها نحن الثلاثة وسائق العربية ومهندس ميكانيكى والاخيران عسكريان يحمل كل منهما مدفعاً رشاشاً وكانت تتقدم سيارتنا عربية صغيرة بها الضابط المسئول والسائق وجاويش .

بعد ان سرنا النهار كله وبعد دخول الليل توقفنا لتناول وجبة العشاء فاصر الاخ بدر التهامى ان يطبخ وجبة ساخنة بدلاً عن المعلبات وطلب من السائق ان يشعل ناراً فذهب السائق يجمع كميات من الرمل اللملء بالذخيرة الفارغة وصب عليها قليلاً من البنزين وأشعلها وجلس الاخ بدر ليطبخ لنا اكلة شعبية سودانية وهى (ملاح روب) مستخدماً الحبة والصلصة والماء واللبن وكنا مجلس حول النار طيباً للدفء من زمهرير البرد القارس وجلس بجانبنا بعض اطفال البدو الذين تجمعوا اثر رؤيتهم لتلك النار ونحن في انتظار الحلة فاذا بالحلة تطير على اثر دوى هائل ويتطاير ما بها علينا واذا بنا جميعاً نعدو ناحية العربية لنعمل (خلف ساتر) وتعنى بلغة العسكريين بحمى انفسنا) وبعد مئذنة ليست بالقصيرة راينا اولئك الاطفال حول الحلة واندھشنا ورحنا نسأهم عن جليلة الخبر؟ فقالوا ان كل ما في الامر ان طلقة قديمة لم تنفجر كانت وسط النار وبعد ان اشتعلت انفجرت فالتفتنا نلوم بدر على فعلته ورجوانه الا يقدم على أمر مثل الذى حدث خوفاً عليه .

طلب منا الضابط المرافق الاخ الزين ان شدد الرحال وعلى بعد ثلاثة كيدومترات فقط توجد قرية بها مطعم وقهوة وما ان وصلنا القرية حتى عدونا انا وأحمد والزين الى داخل المطعم نسأل صاحبه مالديه ولم نجد غير طبقين فاصوليا ناشفة فطلب منه ان يقسمها على اربعة اطباق وكان بدر قد تأخر عنا وبقي في العربية يجمع بعض حوائجه احضر صاحب المطعم الاكل كما طلبنا . وبدأنا نأكل بشهية فقد كان الجوع قد بلغ

سأ مبلغاً عظيماً والبرد قارس والاكل ساحر وقضينا عليه في دقائق معدودة وتركنا لالاخ بدر طبقه وجاء بعد ان فرغنا نحن من الاكل فقدمنا له الطبق وهجم عليه وكأنه اسد يقتصر على فريسته بعد طويل غناء ومطاردة أحتصن الصحن وبطر حوله وفوق المائدة فوجد ثلاثة اطباق صغيرة بها ملح وشطة والثالث به شيء داكن تراباً يستعمل كطفايه فاحد بدر كمية من الملح والشطة والتراب معتقداً انه فلفل وصبه على الطعام ما اولىج الدقمة لاوى في فمه حتى صاح (دء ضلظ داء فطيع)؟ وضحكنا كثيراً فقد شرب بدر المقلب للذرة الثانية وتوكل على الله وفتح علبة سردين وامثل الامر الله . وقضينا ليلت تلت بالقريه وواصلنا سيرنا في الصباح لباكر لنصل في نفس اليوم الى مدينة (مسراطه) وقبل ان نصل المدينة كانت العربة تسير بنا سيراً هادئاً وسيم الصباح العليل يداعب الشجيرات المتبعدة والصباح الهادي احميل يطفئ سكوناً على جنبات الوداي فلا تسمع غير ازيز ماكنات العربة وكنت سارحاً اتأمل ذلك الحمل الخلاب حيثما دوى اصوت المعجار وكنت اركب حينها بجانب السائق فسألته ما هذا؟؟ فأجاسني بان هذا الصوت هو صوت لغم اى ضد الاسان ووفقاً قليلاً لمعرفة الامر . وواصلنا سيرنا الى مسراطه وكان استقبالنا حاراً دبحت خلاله الدبابح اكراماً لنا واحتفاءً بنا .

ودقن بعد كد وتعب اماء البارد النقي واكلت نساخر اسسم قضينا ذلك المهر وفي المساء اقما حفلاً خارج المدينة معسكر الحش بعد ان اعدوا لنا مائدة من الحشب مصاة بمصاييح العسره وقد قامت بتشيد هذا سلاح حقه ساحة اليوم المهندسينه انتهى حفل سرعة وذهبتا بعدد الى ميس الصباط وسهرت - سر - الى اليوم التو . وكانوا مسافرين في نفس الصباح الى القاهرة بانهاء فترة تجييدهم وكنا نحن سواصل المسير بعد ان حملنا هدايا الفاحرة من قمصان وبنقلوت وبنوة رسحائر وغيرها . اتجهنا الى طراسس مارين بمدن عديدة منها [مدينة الاحسن] وتربة صحابة التاريخ العظيم وقد سمعنا من حرس المدينة انها طلعت مدفونة نحو خمسة سة واكتشفت قبل الحرب وظهرت معالمها وتوقفا فيها ودخلنا اليها من ابوابه العمومية فكان أول المدخل رسم نموذجي للمدينة يحكيء حاف . قبل ٥٠٠ سنة .

وشهدنا العجب والله بعد ان شاهدنا مسرحها الدائري على المقاعد الحجرية ومارها ذات الطابع العربي القديم لحميل وقبل ٥٠٠ سنة كانت تعمل السيوفيات بطريقة لا أقدر ان اشرحها هنا بتفصيل فهي شبيهة بالنى مستعملة الان - سبجان



حسن عطيه ورفيق درمه احمد المصطفى

الله - هؤلاء القوم متحضرون قبل ٥٠٠ سنة، الجميل في الموضوع انهم
 المصطفى كان يحمل معه صندوق صغير عدرة عن كاميرا او - مصوراتية - بلغة
 وهو اسود مربع لكنه كان يصور فعلا - احد احمد هذه المدينة صور مختلفة لاهم معاد
 واخرج فيلم اخر اخذ يصور كلما تقع عليه عناية من جمال واشياء نادره وبقيته الى
 وصلنا الى طرق - وهذه مدينة كبيرة سنعمل بها عدة حفلات بعدد اعداد
 وقضينا بها كذا يوم كنا محمرلين عن حدقات العيون وهنا يحب ان اعرف
 مدينة احتلت اربعة مرات مرتان من المحور ومرتان من احتلال الحلفاء الا
 ارجعنا الى قواعدا سالمين وجداها الشاب الملازم ابوبكر فريد وكان ش

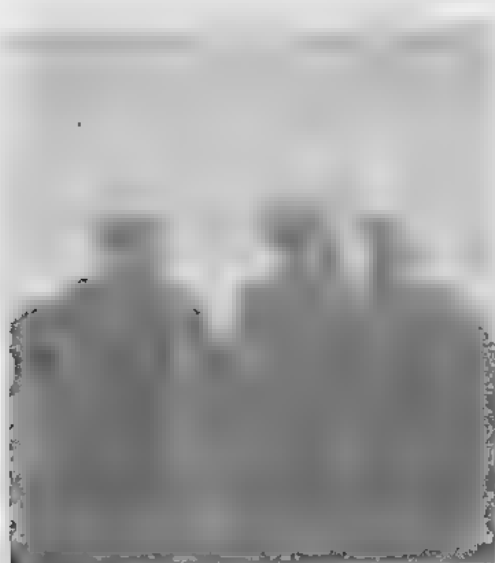
وفي وسط هذا الحطام للمدينة كانت عرفته بعد بنائها بواسطة الحنود المهندسين الذين كانوا يشيدون لانفسهم منازل حربية جديدة لسكنهم بعد تدمير المدينة وتحطيمها وكانت من بينهم غرفة ابوبكر عباره عن صالون ودولاب ابيض مليان بالملابس الجميلة والروائح العطرة والبخور السوداني السبب الذي دعانا الانعيش الا في هذه الغرفة وعملنا منها غرفة بروفات ومزول للراحة وشرب الشاي المنعنع .

وكان ابوبكر يملأ فراغه بقرض الشعر واحترار احمد من ضمن قصائده الملحنة اغنية «كلما ذكرت حماله» الاغنية المعروفة التي كان يحكى فيها ابوبكر ايام المعاناة ايام النيران والضرب هذا جانب من ابوبكر الفنان تأخذ جانبه كضبط كان شجاعا ابلى بلاء حسنا في طبرق ويكفينا ما وجدناه وشفناه منه من شجاعة واقدام كان يداعبنا دائما مداعبة عيفة جدا جدا دعانا نحن في يوم من الايام ومعن المرحوم صالح بشير والشاب محمد عشري الصديق وكان صالح بشير ومحمد عشري من ضمن الصباط المهندسين والكتبة دعانا حسب كلامه لنحضر حفرة «دروة» ضرب نار وذهبنا معه بالعربات لاطراف المدينة الى مكان معين ووجدنا ستة حنود ومعهم آلات حفر وذخيرة اسمها «جلكنات متفجرات» وجدناهم محصرين اربعة حفر متساوية يحشونها بهذا الجلكنات الذي يشبه معجون التوبة وربطت باربعة خيوط وفي النهاية انتهت بحيط واحد يسمى بالفتيل وسحبها معه ونحس مشدوهين نعاين وبدون سابق انذار قال لنا بصوت عالى «يالله اجرؤا بعيد انا حاولم النار» وخرجنا جميعا وكاننا في سباق الى ان ابتعدنا عنه تماما ووقفنا على بعد ننظر وهو لسه يجر في الفتيلة التي بيده الى ان وصل الى حطام عربة صالون ركوبة ودخل العربة واشعل الفتيلة بباقي عود الثقاب الذي اشعل منه سيجارته وطارت الفتيلة مشتعلة نحو الاربعة فتائل لتشعلهم ليصل الاشتعال الى الاربعة اركلن ويتفجر الاربعة اركان لتعمل فجوة طوها ستة امتار وعمقها اربعة امتار وتتطايرت الحجارة في الهواء مختلفة الاشكال والاوزان شاهدا عدة حجارة تسقط على رأسه وهو داخل العربة وبعد لحظات وصلناه بعد ان طلع من العربة وصلناه وصرخ ينادينا «ياجماعة تعالوا - وذهبنا اليه مسرعين وقتلنا له حمدا لله على السلامة - بكل بساطه رد علينا سلامة ايه يا بجاين اتوقايلى انا بموت؟؟ بعد ان رأينا هذا المنظر وعرفنا قوة الجلكنات ذهبن في المساء الى مكان الحفل نادى الصباط - كانت الحفلة داخل صالون النادي وبعد ان انتهينا من الحفل الرسمي دخلنا الى صالون آخر لنعمل حفلا خاصا بالصباط وكان العاء حبيلا ووقف جميع

الحضور في شبه حلقات للرقص والحرق وكنت انا اراقب ابوبكر خوفا منه لانى كما قلت كان يداعنا مداعة عيفة لانه كان يحمل معه كمية من اصابع الجلكنات شديدة الالتهاب داخل جيبه واثاء الرقص كان يحثك بالراقصين ويضع لهم هذه الاصابع داخل جيوبهم وبعد ان امتلات جيوب جميع الراقصين وقف في تربية وصاح يعلن للجميع بان كل الدين بالحلبة ملفمين وينذرهم بالا يشعلوا السجائر ومن يشعل اى عود ثقاب فهو هالك وحصل هرج ومرج يستعطفونه بسحب المادة من جيوبهم وباطت الليلة وذهب الجميع الى فراشهم يفتشونه لعل وان يكون ابوبكر لغم هم السراير وكانت ليلة رعب فظيعة والغريب في الموضوع ان حتى كبار الضباط يعتبرون ان هذه دعاية طريفة ولطيفة ومسلية وما فيها خوف - وفي اخر ليلة انتظم حفل الوداع حيث نساخر الى مسرطة جلسنا انا واحمد وبدر في ثلاثة كراسى وبدأنا الغناء وبعد دقائق شعرنا بشيء ينفجر تحت الكراسى فهورلنا مسرعين واذا به ابوبكر مرة اخرى يضع اصابع الجلكنات تحت ارجل الكراسى الخلفية وهذه المرة اخذنا الموضوع «جد» ورفضنا الغناء وجاءنا ابوبكر معتذرا وهو يقول «ما لازم نعمل ليكم ذكريات لكى لاتسونا طول حياتكم - فعلا وقد كان» الا رحم الله ابوبكر فريد رحمة واسعة .

مسرطة: تقريبا هي العاصمة الثالثة بالنسبة لليبيا فهي مدينة كبيرة مليئة بالخوانيت التجارية والمنازل العالية الطوابق واشجار اللوز وحقول العنب وبعض انواع الفواكة - قضينا فيها ثلاثة ليالى وكأنها حلم جميل لما لقيناه من استقبالات وكرم حائمي من جنودنا البواسل ونحن لم نقصر في العطاء وبعدها ذهبنا الى بنغازى وكل هذه الرحلات لم نزل بالعريبات وبنغازى تأتى في المرحلة الثانية من طرابلس وصلناها صباحا وكان احمد المصطفى مهتم جدا لوصوله الى بنغازى لانه يريد ان يحمض عدد من الافلام التى اخدها اثناء الرحلة من مصر الى بنغازى وذهبنا الى اول مصوراتى دكانه يعمل بالمحل عربى لىبى - اخذ الافلام وقال انتظروا بعد ساعة نعطيك الصور محمضة وفعلا انتظرنا ساعتين قضيناها نتسلى برؤية الخوانيت المحاوره لهدا المصوراتى - كانت المفاجأة بعد ان رجعنا ان وجدنا كل الافلام محروقة سوداء ووضعها في البنك وكأنه لم يعمل شيء فجن جنون احمد المصطفى وقال له ما هذا يارجل - اين الصور؟؟ فقال له هاهى امامك وانت عرضتها للهواء فحترقت جميعها الا واحدة هاهى ان اردتها فعزها مع دفع الثمن والاسنصا درها وبرضه تدفع الثمن لاننا تعبنا جدا في تحميم

العليه ودفع احمد المبلغ كاملا ليأخذ الصورة الوحيدة التي هي كانت تجمعنا نحن
ثلاثة



صورة مزي الميدان نضم حسن عطيه واحمد المصطفى
وبدر وهي الصورة الوحيدة التي لم تحترق

قصي احمد ليلته الاولى في سغاري وهو في غاية الالم على هذه الفرصة التي ضاعت
فس يتمكن من التقاط مثل تلك الصور التي ضاعت وتألما معه وتحسروا عليها ولم
يسببا ذلك الاستقبال الحافل الذي قوبلنا به بعد فقدنا الصور.
دهسا ليس الضباط وكلعاده قضينا ليلتنا الاولى سهرة صغيرة حدثني للاح احمد
قل السهرة بان عزاه في الصور كباية شاي بالكيك من سلاح الاشارة وطلب من

الاخوة الضباط الشاى. فكرت قليلا بعد ان سمعت حديثه وقررت ان « امقليه » وبعد فترة ذهبت للمطبخ ووجدت بعض الاخوة مهمكين فى تجهيز الطلب سألتهم لم تعدون هذا الشاى؟ هل هو للقائد؟ فردوا على بانه لاحمد المصطفى لاننا قد علمت انك لا تشرب الشاى الا مرة واحدة فى الصباح فضحكت وقلت لهم ان الاستاذ ترك شراب الشاى ليلا لانه يفسد صوته . حزونا لما سمعوا عنى ذلك الحديث ثم شربوا الشاى وجمعوا اوانيه وادخلوها وذهوا لمكان الحفل وبعد ان بدأ الحفل تملل الاخ احمد واقتقد الشاى فذهب الى احد اصدقائه الضباط يسأله عن الشاى فغاب الضابط عنه وجاءه يخبره بان الشاى قد جهز بكل مواصفائك المطلوبة الا ان الاخ حس عطيته اخبرهم بانك قد تركت شرب الشاى ليلا فشربو ما اعدوه واغلقوا المطبخ .

بان الغضب على وجه احمد عندما سمع كلام الضباط وبدأت اراقبه من على السعد وظل احمد طيلة السهرة ينظر الى ولا يتحدثنى الا فى حدود كنا نضحك انا وبدر تناسى احمد مقلب الشاى وبدأ يفكر ويدبر ليثار لنفسه بمقلب الكبر

خرجنا فى اليوم التالى من بنغازى لنواصل الرحلة وقد حملنا بهدايا من ملابس وماكولات وسحائر اد ان المعروف ان احمد لا يدخن همس احمد فى ادنى وقال : « يااخى الهدايا دى كترت ونحن لاحتاجها ويمكن ان نسيها للعرب وبأخذ شمشها حاجات اجمل فى المدن . فلم استحسن الفكرة فى البدء ودخلنا لاول قرية فى طريقنا وبدأنا نبيع مالديف فتهافت العرب على العربة تشدهم تلك المضائع النادرة بأسواقهم خاصة اللبان «تشكلت» وكان الطلب اكثر على السجائر وطماننى الاخ احمد انه كن قد زار المنطقة من قبل بان ابيع سجائرى وسأجده امامى فى أول مدييه والتى لا تعد كثيرا عن القرية التى نحن بها . صدقته وبعث ما معى من سجائر واحتفظت لنفسى بعلبة صغيرة .

ومرت الليلة وطلع الصباح والسحائر خلصت ومر النهار ومر الليل وكنت حرمنا جدا وكل مرة اسأل احمد ايه الحكاية ده مقلب ولا ايه فرد على بالضغط مقلب لاننا سنصل باكر العصر - تذكرت شاى لا اشارات يا بطل وسكت ولم اجب بينت شفه لانه انتقم منى شر انتقام وكان مقلبى ليلة واحدة ، اما مقلبه فثلاثة ليالى وصلنا طرابلس بلد العجائب كانت جميلة بمبانيها الشاهقة الملونة وحنائقها الغناء وحنانيتها المعرية الشيقة وكانت بها الرئاسة من كل الجيوش انكليز هنود سنغال سودانيين كانت كل هذه

الأورط لهم مطربين وموسيقين من بلادهم كما قلت في المذكرة اسمهم المختصر اربعة حروف «ا.ن.س.» هذه المرة كان الاستقبال بموسيقى سلاح الموسيقى المصغر والذبائح والزغاريد من الجنود واستمتعنا بعدة ليالى وحفلات ما كنا نرفه عليهم بأقل مما رفقوا علينا شفنا العجب وذقنا حلاوة الترحاب السودانى الاصيل وشربنا ماء الورد لأول مره مع جميع المشروبات الخفيفة والثقيلة واكلنا كل انواع الأكل السودانى واللبى والطينانى وكانت والله ورغم الدينا كانت بواقى حرب شفنا فيها جنة الارض «ما احلاك يا ليبيا»

استقبلنا فى طرابلس استقبالا حسنا وظللنا نرفه عى قواتنا هناك الى ان جاء يوم الاحتفال بحروج آخر جندى من ليبيا وكان يوما رائب وحافلا وموثرًا. وكان يقف على المنصة القائد العام الانجليزى وقائد الفرقة الهندية وقائد الفرقة السنغالية وقائد الفرقة السودانية [طيب الذكر احمد محمد] ومرت كل الفرق من امام المنصة. وعند مرور الفرقة الممثلة لقوة دفاع السودان امام المنصة على انغام (المارش ١٤) تعالت الزغاريد واقتافات ونثرت الورود والمناديل الحريرية وحلويات على رؤوس جنودنا وداعا لهم. وعلمنا لاحقا ان القائد الانجليزى التفت الى زميله (احمد محمد) مستفسرا عن هذا التكريم الشعبى الخاص للجندى السودانى فرد عليه القائد (احمد محمد) قائلا «اذا اردت معرفة السبب فارجع الى دفاتر جزاءات كل الجنود فستجد ان دفتر الجندى السودانى خالى من كل ما يمس الشرف» وهكذا كان جنودنا يستحقون هذا التكريم الخاص. حيث تركوا اثرا رائعا ومجيدا فى نفوس الشعب الليبى.

ورجعنا قافلين الى القاهرة بقطار السكه حديد - كانت ساعات مرت وكأنها الدهر كله - المهم - ربنا سلم ووصلنا ارض الكنانه . امنا مصر العريقة الجميلة وشعرنا بارتياح شديد كأننا وصلنا السودان وذهبنا الى المعسكر فى ننى يوسف بالهرم مع الدين كانوا ينتظروننا وبنا ليلة سلمنا فيها العهد تانى يوم الصباح وهى عبارة عن ملابس الحيش ورجعنا الى ملابسنا الملكيه وأصبحنا ملكيين كما قمنا من بلادنا وكان المرفوض ان نسكن فى حى الهرم ولكن الترام الذى يرصل لنهرم يتوقف الساعة ١١ مساء وكان هذا لا يكفى لاننا كنا طلاب سهر وعشاق موسيقى ورقص وأستاذنا من المسئولين ان يسمحوا لنا بالسكن فى القاهرة فذهبنا وسكننا فى شارع عبدالعزيز تقاطع شارع محمد على امام العتبة الخضراء فى لوكنده «ريش» ولم تنزل وهذه اللوكانده حتى الان وخرجنا

للتنزه وقبل ان نقطع الشارع لنجلس في كنبات العتبة الخضراء رأينا الاخ الطالب عبدالمجيد ابوحسبو خرجنا من فندق بور فؤاد اول شارع محمد على وكان بالقرب من فندق ريش وفرحتنا جدا بلقائه وأخذنا الى قهوه متاتيا بالقرب من العتبة الخضراء .

جوار مطافئ القاهرة ووجدنا بالمقهى اعدادا كبيرة من السودانيين وسمعنا اخبار السودان .

مازلت اذكر ذلك اليوم فهو نهاية الاسبوع مساء الاربعاء كنا لا نملك ثلاثتنا غير اربعة جنيهات وبمقياس ذلك الزمان كان مبلغاً محترماً وكفى لمدة طويلة وحسبناه ووجدناه انه يكفى لسهرة محترمة في اى مكان بمصر فقررنا ان نصرفه وكنا نعتقد الامل على استلام مرتباتنا من القنصلية صباح الخميس .

صرفنا ما لدينا واصبحنا على امل السلفية فقد قررنا ان نبقى بالقاهرة لمدة شهر وكان ذلك في شهر فبراير والشتاء على اشده وكان الاخوة الطلاب السودانيون في انتظار عودتنا على احر من الجمر وكانوا قد أعدوا لنا برنامجا حافلا .

وفي صباح الخميس خرجنا وما معنا غير ملايم الترام لنصل الى القنصلية بميدان التوفيقية ، خرجنا والامل يملا جوانحنا ودخلنا الى القنصلية والتي كان معظم موظفيها أو قل كل العاملين بها انجليز ما عدا واحد هو الاخ الاستاذ محمد حسن عبدالله المربي الجليل وكنت اعرفه فقد كان استاذى بمدرسة الخرطوم الابتدائية ومعه اثنان او ثلاثة عاملين استقبلونا ورحبوا بنا خير ترحيب

وسألنا الاخ محمد عما نريده فاخبرناه فرد علينا معتذرا بانهم لم يلتقوا برقية من الخرطوم تفيد بامكانية تسليفنا من مرتباتنا واردف قائلا ان الوقت قد ضاع وتجاوزت الساعة الثانية عشر ظهرا ولكن ذلك لا يمنع ان نبرق الخرطوم رئاسة قوة دفاع السودان لتفيدنا بامكانية تسليفكم ولكن لن نسمع الرد قبل الثانية عشر ليلا ، جلسنا ننتظر الرد وكانت الساعة الثانية مواعيد اغلاق المكاتب فاجأنا الاستاذ محمد ليعتذر بانهم لم يتلقوا رد على الرسالة . وطلب منا العودة يوم السبت .

وقع النبأ علينا كالصاعقه والجمت الدهشة الستة فخرجنا نجر اديال الحية وذهبنا راجلين الى العتبة مكان (الفندق) وصلنا حديقة الازبكية وجلسنا بها وقد استبد بنا التعب والجوع وحاربنا الدليل .

واستسلم الاخوه احمد ويدر للواقع ولكننى ظللت البحث في جيوب البدلة علنى اجد شيئا فبحثت في الجيب الاول وخرجت يدى فارغة الا من بقايا تذاكر الترام

وادخلت يدى فى جيب اخر واخرجتها وقد وانفجرت اسارىرى وهللت لانى وحدث قرش صاغ كامل

وأعلنت البناء على احمد وبدر فهللوا وقرروا عقد اجتماع عاجل لنحدد احتياجنا الفعلى وما يمكن ان يسد الرمق قول او تسالى أو صميت عيش - بالسهم والجنة او طعيمة وعيش . واستحال الطلب الاخير لرفض اصحاب المطاعم جلوس أكثر من فرد على الطلب واستقر الراى واجمعنا على الصميت والجنة وابتعنا من الباعة متحولين وتناولناه فابتلت عروقنا وذهب الجوع قليلاً واوصدنا المسير الى الفندق وقبل ان يصل حطر على بالى الاخ عبدالماجد ابوحسبو فقررت ان اذهب اليه على حصل على قرض مالى ولو جنيته واحد .

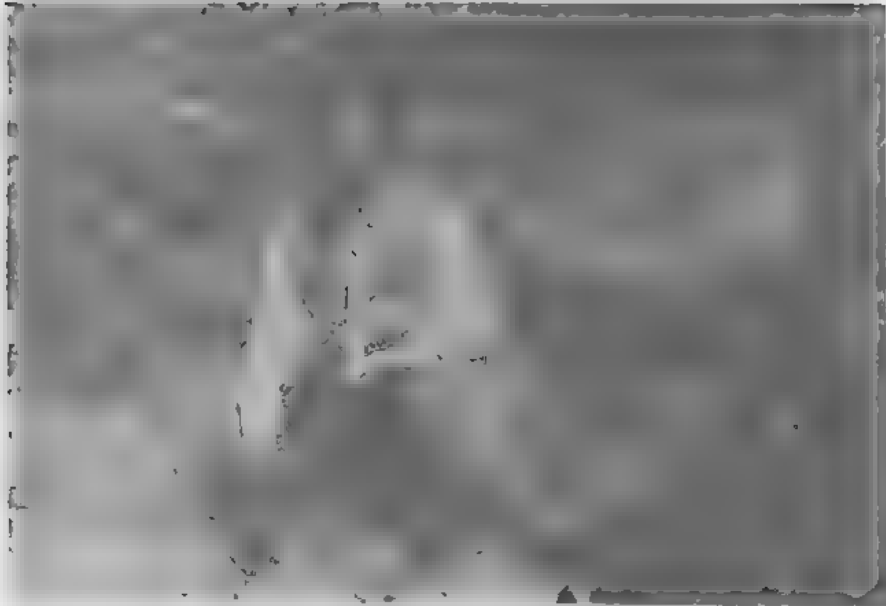
وكنتم ذلك على الاخوين احمد وبدر ولكنهم تبعونى . دخلنا على الاخ عبدالماجد ووجدناه جالساً الى مائدة الغداء وامامه طبق من الارز وسلطة وطبق ملوحيه ورغيفين عزمنا عبدالماجد بهمة لتغدى معه ولكن الاخ احمد شكره وأردف نحن اتغدينا واستاذناه وخرجنا بسرعة حجة اتنا ناعسون ووصلنا الى الفندق وتحاقنا مع احمد على سرعة رده للاخ عبدالماجد ، فقال اتنا كنا قد اتفقنا لا نخبر احد بما حدث فواصل احمد - ايه راىكم تأكل على حساب الفندق . ؟ ، فقلت له : (دى قديمه ، دى ممكن تطردنا من الفندق لانه ستكشف سرنا) (ساد الصمت برهة) وصرخ الاخ بدر وجدتها فانتبهنا اليه فقال . . . لقد كلفت من بعض اقاربى فى السودان لاحضر هم ريت ريتون من طرابلس ولقد احضرته والان موجود بغرفتى . . . قاطعاه . . . طيب ماذا تنتظر اذهب لشارع عبدالعزيز وهو مليء بمحلات بيع الطعمية والفول ويمكن ان تخرج ازمتنا - تردد قليلاً ثم حمل الجالون ونزل السلام وبقينا احمد وانا نراقبه من الشرفة وهو ينتقل من مطعم الى اخر يحمل الجالون وعاد مرة اخرى يجرجر اذيال الخيبة ويحمل الجالون وقبل ان نسأله قال . . . سيك ديل ناس مستهبلين كملوا الزيت دواقه واخيرا قالوا ما نافع معاهم .

صحت على صوت زوار وضع من كلامهم انهم سودانيين بعضهم طلبه والاخر زوار فى إجازة وطبعاً نحن فى هذه اللحظة لا نملك خمسة مليات المهم بعد لحظات قررنا ان نصرفهم بحجة تعبنا ونعسان . . . وكان كل مرة يضغط علينا الجوع صغطاً شديداً وقبل ان نفكر فى النوم قال حمد وياجماعة انا عندى اقتراح هو انه كل واحد فينا ياخذ فتجان زيت وننوم لانى سمعت ان الزيت بطرى المعدة على الاقل

بوميا بغية الصباح» ود حصل وبدأ صاحب الخيلون في الخرجة وتبعاه جميعا، ونبت
 فعلا ولكن الفرحة لم تلم الا قليلا فقد شعر كل من بمغص شديد صحب عن اتره
 وكاد الاسهال ولم يغم حتى الصباح وطعنا كنت البطون فارعة، ورن ستر ولم يحصل
 لما فقدان سوائل واذا حصل ما كنا نحرف. المهم خرجت بنف الشورخ بدون هدف
 وفائدة ولم نجد اى رول نعرفه لانه كان اليوم جمعة والسودانيين بيكونو سهر بين
 وبامير وفي هذه اللحظات شعرنا جميعا بان سطلونتنا وسعت عليا وشديدا الا بريم
 على بطوننا بدون فائدة وفكرت في ان كل واحد فينا يدخل ايده الشباك في جست
 البطلون بشدة لتساعد البطلون على الوقوف ويترك ايده اليمين للسلام د حصل
 فحاة ومشينا ثلاثت بهذا اسطر راجعين في الفندق بعد ان حل عيب اتعب ولاعب
 ونسطحنا على سراير بدون اى كلام وفي هذه اللحظات عرفت عموه بسيطة حلمت
 فيها انى باكل اكل جميل وكثير ويظهر انى كنت مصغ بصوت عالى وصحوى جميعه
 اقوم يا احى انت انت حتما نايه بتاكل في ايه ففقت عملت معهم مشكلة كبيرة فثلا
 «يا جماعة الواحد لما يحلم بالاكل مريحوه اعود بالله» مهم خرجت لعصر بدون هدف
 وبدون سب وحدثنا انفسنا في شارع «كنوب بك» وهما كنت مضحاة تذكر احمد ان
 له صديق دنقلاوى صاحب جراح اسمه سعيد فذهب اليه وخس الخط وجدده شب
 طويل اسمر ايق ووجيه تدو عليه العمة، استقبل استقبال حسن مرحبا ب وحسن
 حوله وهو ممسك بشيشته الطويلة وطال للسلام وتوس منتظرين يقول «تعلى يا ونب
 شوف الجماعة» وبعد كلام كثير يلاحظ الاعياء عليا فقال «ايه احكاية يا جماعة انتو
 باين عليكم تعانين حدا من السفر» فقلنا له «فعلا» (واحيرا قلنا) «تعلى يا ونب هت
 تلاتة كازوزة» ليموندة» وتلاتة شاي بالحليب» ورديت عليه بسرعة فقبت له «يلا
 أخ سعيد انا عاوز كاس كونياك عشاد عاوز انشط شوية» فقال «حد طيب يا واد
 كاس دبل ومعه مزة تمام». وطعنا انا لا غير كونياك ولا حاجة انا عاوز امزه طبع وم
 ان وصلت صينيتي وكان فيها رعييف وحنة وزيتون وترمس وخيار ولم ألقت بعده
 لأحد فاذا باصحابي يهجمون على صينيتي ساكين نكاروزة ولشاي بالحليب
 فاستغرب الراحل وادرك ان في الامر شىء وقال «يا جماعة انتو ما اتغديتو»؟ فعنوانى
 حكى احمد كل الحكاية فأدمع الراحل وقال لأحمد «ليه يا احمد حنا احوال ومافى مدسة
 بيباتنا، طيب انتو ساكتين ويس»؟ فحكينا له قال «طيب يلا يسا على الفندق» واحدنا
 بعربة فارهة ووصلنا الفندق وقال «اطلعوا يا جماعة لموا عفشكم» ولما نزلنا وحدنا دفع

الحساب مع البقشيس واخذنا طوالى الى منزله فى شقة جميلة فى البلد، وضرب تلفون
لاحد المطاعم القريبة منه وطلب اربع رطل كباب وكفتة .
وبعد كدة اخذنا الى شارع الهرم وسهرنا فى الأوبرج وهو نادى ليلى يرتاده عطاء
وسياسى البلد واولاد ذواتها حتى الملك فاروق كان له مكان خاص فى هذا الاوبرج
وسهرنا حتى الساعات الاولى من صباح اليوم التالى .
بعد كده طبعاً فرجت واصبحنا ثانى يوم وذهبنا الى القنصلية الساعة ١٢ ظهراً
روجدنا التلغراف وصل يأمر ان يصرف لنا حدود خمسة جنية للفرد وقضينا بعض
الوقت فى القاهرة ومنها عدنا الى السودان فرحين مبسوطين وكانت فرحة لنا عظيمة
شعب الهوايل ما كنا ندرك انها ستكون ذكريات ذات قيمة عظيمة نجانا الاله العظيم
من كثير من احوالها .

الباب الخامس كسلا وأسمرا



ايام الشباب في الهضاب الانثيوبية

كسلا وأسمره:

وصعت الحرب العالمية الثانية اوزارها واستقرت الامور بعض الشيء كنت اشاء الحرب اسمع عن اسمره المدينة المعلقة على رؤوس الجبال وجوها الرائع وشبابها المليء بالحيوية والفن ورخص مشترياتهما ، فكرت في اسي يجب ان ازورها، كان حينها اخي

يوسف يعمل بين كسلا وتسسى حدود اريتريا ومقره كسلا ومعه شاب من نفس حلتنا هو حفننى ابوربد «الله يرحمه» طالت مدة لم نسمع عنهما فاتفقت الاسرتان ان يرسلونى لاحى ومعى سيد حسر ابن اخت حفننى . وفعلا ذهبنا لكسلا وبسرعة البرق وحدناهما فى قهوة السواقين ، وبعد الاحضار والسلامات اخذونا لافخم مطعم وكانت لدنيا ليل ومما اتى سهرة جميلة وكان معى العود طبعاً ، كان اخى يوسف يعمل عند ابن شيخ الصاعه سائق لورى وكان شاب لطيف مغرم بالغناء وباليالى الفنية وعرفت اهمه يسافرون كل يوم لحدود اسمرة ويرجعوا فى اليوم التالى حيث كانوا يعملون بالراشوت «التهرب» وقت : اهى فرصة يا ولد امشى معاهم ونشوف على الاقل حدود اسمرة ، وفعلا ذهبت ووجدت كل شىء متغير عن السودان تماما الشوارع ، الناس لعربات ، الحو ، النوادى الليلية والمراقص رجع اخى وحفننى اعد ان قصينا يوم جميل وحتو حدا الى كسلا وبعد ان جهز حفننى ويوسف انفسهم للعودة معا للخرطوم بعد ان علمت لاحقا انهم كانوا سيعودون للخرطوم لولا حضورنا . وفعلا عدنا للخرطوم وبعد الاحتفال بهم وقضوا معا اسبوع احارة بدأوا فى ترتيب انفسهم للعودة لكسلا انتهزت هذه الفرصة لاعود معهم لارى اسمرة فاستعديت معها فكونت فرقة موسيقية صغيرة مكونة من الاحوة يحيى رهري ناشا عازفا للكمكان ، محمد احمد محمد حير داکو عارف لعود . لكى تقوم حفلات فى كسلا ونترزود بالمال ونذهب لاسمرة المهم نزلنا من القطر وكانت نهايته والدنيا ليل فذهبت لمحل كبير تجارى فيه اكبر مطعم ومقهى وحدث فيه هناك المرحوم سرور وفرح جدا بلقائى .

وبعد ان قضينا مدة بسيطة كسلا ذهبنا جميعا الى اسمرة بالقطار من كسلا الى تسسى حيث ينتهى القطار وبعدها المركبات والشاحنات هى الوسيلة الوحيدة لنقل الركاب غير انه وفى بعض الاحيان تجد انواع من البصات تعبانة جدا يستعملها الاهالى ، ركبا بعد التفتيش الجمركى الذى تعبنا حدا لار هذه اللوارى عادة من الاشياء القانونية تحمل الجلود المدسوعة والفول السودانى والعطرون وغيرها ، والمحظورة الذهب الحام لغلاء ثمنه حيث يباع بالشلل الطليانى ويشترى بثمنها الريالات الخشيشة . القشلية وهى من الفضة الخالصة حيث تصهر وتصنع منها الحجول والاساور لتزين بها نساء العرب الزيدية والهندوة وتباع بأثمان غالية حدا ، وطبعاً عند تعبثها وتغريفها كنت ارى كيف يتفنن اصحاب اللوارى فى احفائها وشفقت فيها الهول .

المهم وصلب كرون بعد ان مررنا بيارنتو وهي كوتة نزلنا لنقضى ليلتين بكرن لان
مظرها كان جميلا وكانت مفاجأة لنا عندما انزلنا صاحب اللوري امام محل تجارى كبير
يجلس عليه الاخ حفى ابوزيد صديق اخى يوسف حيث كان يعمل نجارا هناك
فردادت دهشتى عندما علمت ان هذا المحل هو محله فرحب بنا ترحيبا حارا وقال
[الليلة دى حنعمل مفاجأة كبيرة فى البلد تعرفوا ان محمد يوسف على الليلة رواجة من
شبة كانت تعمل معه اسمها لتشبه وسيمر الموكب من هنا بعد شوية فى طريقه
للاحتفال الكبير فى البر كس] محل اقامة الضباط فهى «الميس» وفعلا مر الموكب وركبنا
عربة الاخ حفى الفيات ووصلنا معهم وبمجرد ان رأونى علت الاحتفالات وضرب
لـروجى «الورى» ان حسن عطية وفرقة الموسيقى حصرت الـان، وبدون سابق
نذار ترك العروسان الكوشة الملوكية وقبلا بحوى بالاحصان والقبالات

وانتذكر اننى شاهدت امام المطبخ المعد لتجهيز الطعام والشراب كان هناك ثلاثة
شخاص واقفين امام حلال كبيرة جدا يصور فيها كل انواع خمور «كوكبيل» احتمالا
منهم هـد الرواج «يغرفون لكل من يمر بحورهم فى كوز طلس ابيض كبير طلعت
غنى ورفاقى وفى ثاء الفصل الاول لاحظت اننا لخصور كنوا فى حالة سكر شديد
من حراء الكوكبيل وانطلقت الاعيرة لـريه وعلت اصوات المعازيم فرح وانتشاء
ونـزغاريد تضارت مع اصوات التصفيق الحار. وعندما برلت وحدث ان عدد
الخصور قل جدا والعروسان فى دهول من الذى يرونه امامهم فدلا من ان يفرح
المعازيم بالعروسان تركوهم فى ندهش يضحكون، وارتبك الترتيب والنظم ولاكل
وفى صباح ليوم التالى كان الجو صحو والامطار تساقط قلت للجماعة انا فتكر
«حسن نهرب قبل ما يصحو الجماعة ديل وبأحد المقلب الشربوهو الجماعة امسرح.

وفعلا ركنا نص اتيق وجميل وكانت الساعة السادسة صباحا تقريبا ودخلنا منطقة
الـهويات ودى منطقة ياما وقعت فيها لوارى وشاحنات وبصات وركاب وبضائع بدون
عودة وهماوية تديا هاوية، الحمد لله سلمت منهم ووصلنا حوالى الساعة الثامنة
والنصف اسمره. ياسلام كل حته فيها ملونة، الناس، الشوارع، لعربت،
السيوت، الاشجار، المحلات، التكاسى، والحماطير الصغيرة. نزلنا فى فندق فى
منطقة وسط السوق العربى واسمه «بيرقوايرا».

قضينا ايام عمرها ما حتنسى من على بالننا، البلد طيبعا كانت جديدة. ركننا
مشدوهين امام ما نراه وما رأيناه يعجز قلمى ان يصفه من ترحاب واعجاب وصر لنا

اصدقاء ومعارف ومعجيين ورسائل وذكريات عطرة طالع نؤرقنا كلي حامت منا للماصي
التفاته .



صورة جماعة صعب الغنائين والاداريين والجنود

من تلك الذكريات قصة روزينا زوجة الحاكم الحشني ، فبعد ان توفي زوجها
نقيت هي وحاشيتها في القصر وكما ذكرت ان الحاج سرور كان قد زار اسمره كثيرا
قلي وكان له معجيين واصدقاء وكانت رورينا على رأسهم ، وعندما حضرت كلمني
عنها كثيرا وقال لي «سوف اخبرها بحضورك وتعمل حفل صغير لتغني وتعزف امامها»
وجاء اليوم المحدد واحدني الى منزل الحاكم وقابلتني مندهشة وتكلمت معي بلغة
عربية (كنت افتكرك كبير لاني سمعت عنك كثير) فقلت لها «لما اعنى حيثغير

وتشوفيني كبيره وضحكنا وبعد التعارف اتفقنا على ان نقضى معها عطلة الاسبوع يوم الاحد بعد الكنيسة الساعة واحدة ظهر.

وفى يوم الاحد التقينا بمجموعة من الاخوة السودانيين ريفعى المستوى والمقام ومجموعة من صديقات واصدقاء روزينا من حبش واريترىات وطيلىان . وبدأت الحفلة وبدأت الغناء ، وبدأت الزغاريد والتهنئات ورقيص سودانى وحيشى ، وكنت اشبك الاغانى مع بعض واستمر الفاصل ولاول مرة لى منذ بدايتى الغناء أغنى عشر اغانى مرة واحدة ، وعندما وضعت العود جانباً لم اجد الا نفسى محاطاً بكل هذا الجمع الغفير من الزوار حولى يهتفون باسمى ويقولون كلمات لم افهم معانيها بالطبع ولكن لم اجهل شجاءها فقد احسست فيها العطف والحنية والحب وتعطرت ملابسى تماماً بهاء الورد والفل وغيرها من العطور طوال الثلاثة ايام التى قضيتها فى قصر الحاكم ولم استطع انا والحاج سرور ان ننام اكثر من ثلاثة ساعات ولكن الجو المرتفع وبشاشة الحضور تريل اثر التعب فتواصل تلك الايام الثلاثة بلياليها وعدنا الى غرفنا فى الفندق فى ارهاق شديد فقد اجتمع تعب الايام الثلاثة علينا .

وفى صباح يوم الخميس الساعة عشرة صباحاً ذهبنا ان والحاج سرور لشكرها على هذا الكرم والحفل المادى ورأينا قبل ان ندخل قندران واقف يضع فيه العمال بقايا الحفلات لتلقى من اعلى الجبل التقينا بالسـت روزينا فشكرناها كثيراً وصرت صديقها الثانى بعد الحاج سرور طبعاً .

وفى صباح اليوم الثانى خرجنا من الفندق لكى نتعرف على الاخوة السودانيين الموحدين باسمرا فسلت اول سودانى قابلناه وعرفناه (بالزى السودانى وهو الخلابية والعمه) وبعد تبادل التحايا سألناه عن رئيس الجالية السودانية؟ ووصف لنا مكان وجوده واوقف لنا عربتين كروسة لتحمنا الى منزله باسمرا واسمه عبدالرحمن جميل واستقبلنا استقبال حسناً وقدم لنا وحة الافطار واتصل تلفونيا بجميع تجار وموظفى السودان هناك واتصل ايضا بالقصل السودانى وجميعهم حصروا لمقابلتنا وبدأوا فى مناقشة كيفية اقامة الحفلات واستقر الرأى على ان تكون أول حملة بسينما حماسين وبقي الحفلات تكون فى الاندية الديلة وبعض السينمات والفنادق وفى هذه الاثناء حضر الحاج محمد احمد سرور ساء على اتفاق سابق كان نكسلاً واشترك معنا فى الحفلة الاولى وقد نجحت الحفلة نجاحاً منقطع النظير واستمرت الحفلات مع دعوات لاحوه السودانيين لرحلات مصرية فى الحدائق الغناء على رؤوس الجبال فهذه كانت

من امتع الرحلات النهارية طيلة حياتنا حيث ان الطقس كان جميلا كالعادة وجميع الاخوة والاخوات والاسر الارتيرية كانوا يتراقصون ويمرحون ويفرحون معنا نحن السودانيين على انغام الغناء السوداني الذي كما نبادلُه انا والعم الحاج محمد سرور مرة اعزف له ليغنى وتارة اعزف للنفسى واغنى .

واستغرقت رحلتنا عشرون يوما كانت حميلة جدا تنقلنا فيها من نوادي الى حدائق وفنادق اسعرا وتمتعنا فيها متعة حميلة جدا وكنا لا نذوق طعما للنوم الا قليلا في كل المدة التي قضيناها في اسعرا وهنا لا بد لي ان اتحدث عن العم الحاج محمد احمد سرور . كان الحاج قد سبقنا الى اسعرا في عدة رحلات كان يعمل في التجارة بجانب الفن بين ارتيريا واسودان وكانت تجارته من النوع الابيق كفته الرفيع فكان يسجل اغنياته في اسطوانات بمصر ليبيعهها باسمرا وشمس مبيعاتها كان يشتري الاشياء البادر وجودها في السودان مثل البطاطين القطيمة الملونة الراقية والروائح العطرية وبعض ملابس النساء وبيعهها في العاصمة لاصدقائه المقربين وكان كل همه ان في هذه الرحلات الطويلة الكبيرة ان يُدخل الفن السوداني في رؤوس الاخوة الارتيريين وكنت رسالته عظيمة حقا في هذا المجال وكان في سابق رحلاته التي لم نحصرها نحن يصاحبه في عناءه الشيبالين والرق وكانت مهمته شاقة الى ان وصانا نحن وشاركاه في اداء المهمة التي كان يتحمل مسئوليتها لوحده . وواصلنا العناء في مشواره المشهود وبمصاحبة العود خففت كثيرا وسهلت معنى وتفهم الاغنية السودانية . لدرجة انني كنت عندما اعزف العود واحرج منه بعمات ايقاعية واضحة المعنى كانت الفتيات يرقصن فيها الرقصات الافرجية التاجو والمامبو والسмба والروما وكانت هذه الارتام قريبة جدا الى اذهانهم لكنهم لم يتوقعن ان تخرج من هذه الآلة . وكنت عندما اغنى اتوقف عن الغناء واستمر في العزف على العود باحدى هذه الارتام وكانت الفتيات يرقصن على الرتم المعزوف بايقاعات تخرج من تحت اقدامهن وكأنها آلة موسيقة اخرى . وقد تمت مدة رحلتنا باسمرا بعد ان نحشنا في مساعدة الحاج سرور في مهمته وكنا بذلك من اوائل الفنانين الذين غرسوا اول شجرة للفن السوداني هناك .

مما اسعد الاخوة الارتيريين ان هذه الارتام يعزفها اشقائهم السودانيين وبعد زمن من ترددنا ظهر اثر الفن السوداني في حياتهم وغناءهم لدرجة انهم سموا بعض مطربهم ب (سرور وحسن عطيه) .

الفاشر

دعاني نادي موظفي الفاشر لعمل ليالي هناك بواسطة صديقي المرحوم مصطفى خليل وكان نائباً للباشكاتب وسكرتيراً لنادي الفاشر وكوت فرقة صغيرة من الاحوة الفنان ابراهيم الكاشف ومحمد احمد محمد خير «داكو» عزف العود والسر عبد الله عازف للبيان رحمهم الله

وبدأنا السفر بالقطار من الخرطوم متجهين الى الابيض ومنها باللواري الى الفاشر . وقد نشرت هذه الرحلة بالصحف المحلية مما جعلني معروفة لكل المحطات التي سمر بها ، وهم استمعوا لنا من خلال اذاعة ام درمان وكنهم لم يروا شخصيتنا ، مما جعلهم يتجمعون في كل المحطات التي سمر بها وساعد في ذلك دور عاملتي تنقون في محطات السكة الحديد وظهر ذلك حياً عند وصول لاور محطة (الحصاحيص) وكما سوى الاقامة بها لمدة يومين مع اصدقائنا وهم الفاضل الشفيق وكان نائباً لأمور الحصاحيصا والدكتور علي ارو وكان صاحب عبدة حصوصيه وقاسم محمد الامين وكان نائباً للأمور رفعة رحمهم الله . وكان الفاضل وقاسم تقرب من سب وكان ذوي صوت جميلة وحافظي لكل اعنيانا باخرف وبرل بيهم مفاجئة ، ووجدناهم ينسلون بالكتشينة وكان الوقت اصيلاً .

وأرسل الفاضل احد المصممين لكي يحصر الحروف وآخر لكي يحجر الرناتس للاصاءة وثالث ليظم المنزل وفي ظرف ساعة كد مدحجين وكأنا معهم مند رمس ، واردحم المنزل بكسار الموظفين وكسر تجار البلد وكانت ليلة ليلاء اسمرت حتى الساعات الاولى من صباح اليوم الثاني .

وعلم مفتش المركز الانجليزي بكر تفصيل ثلث ليلة من البوليس السري المعروف في عهد الاستعمار بتسليغ ما يحدث ساعة ساعة ، واستدعي المفتش نائب الأمور الفاضل واستوضحه واعتذر النائب ومر الموصوع سلام

ولكى يتمادى الاخوة عيون الفضوليين والبوليس السرى قرروا اقامة الحفلة الثانية فى مدينة رفاعة بقرية عد الحاج، وذهبا بوكس تجارى متخفين، وعلى بعد ٢ كيلو من القرية توجد قطية تملكها امرأة فى خريف العمر كانت على معرفة بالاخوان الفاضل وقاسم وارو لمركزهم الوظيفى، وعند وصولنا قامت باكرامنا بذبح عدد من العتات، واستمرت الليلة حتى مواعيد ذهابنا الى البنطون لكى نواصل الرحلة. وان انسى لا انسى ان هذه القطية كان يرتادها الهمبائى المعروف «نامسيكة».

وبعد وصولنا الحصاحيصا ركبنا القطار المتجه الى مدينة الابيض مروراً بمدنى، سار، كوستى، ام روابه، حيث قابلنا فى مدنى الاخ الكريم الصديق مصطفى كرار على رأس المستقبلين واصر على دعوتنا ولكننا وعدناه بالنزول معه عند رجوعنا وفى ام رؤاة قابلنا المرحوم الاخ عوض كومانى الذى دعانا ايضا للنزول معه ووعدناه بالنزول عند عودتنا ولكنه صر على تكرمنا ونحن على سفر. واستمر القطار الى ان وصلنا مدينة الابيض.

وعند وصولنا ها اضطررنا للبقاء يومين الى ان يتم تشكيل كوفوى لكى نقلنا للفاشر، وهذه كانت فرصة مواتية للاخوة من صباط وتجار واطباء. الخ لاقامة حفلات خاصة لا تزال ذكرها باقية.

وبعد تشكيل الكوفوى من اللوارى اخترنا اكثر اللوارى نظافة وجمالا ولحسن الخط كان سائقه رجل يحب الفن. كما تصادف ان ركب من صمم الركاب الشاب طالب الثانوى «كلية غردون» عثمان عوض الله الذى صار اخصائى امراض الكلى. وكان سبب سفره للفاشر هو دعوة خاله احد كبار ضباط الجيش بمدينة الفاشر. وكانت الرحلة تفدر بحوالى [خمسة أيام] وكان السفر ليلا والراحة نهارا للنوم وطبخ الاكل. فى مقاهى منتشرة بطول الطريق وهى تجهز الاكل والشاى والقهوة للمسافرين وايضا تقوم بتأجير العناقريب لنومة النهار «بمبلغ عشرة قروش»، اما السواقين فكانوا امراء زمانهم وذلك لما يملكون من مال وحاه يسيطرون به على التجارة والمجالس الرسمية والخاصة فى غرب السودان.

وبعد خمسة ليال من المشقة والبرد القارص وصلنا مدينة الفاشر، وقد طهر اثر هذه المشقة فى اننى فكرت فى الرجوع بالطائرة قبل ان اسلم على من استقبلونا. وعادة تخرج كل المدينة لاستقبال الكوفوى الذى يقل كل ما تحتاج اليه مدينة الفاشر من مستلزماتها، وفى تلك اللحظة قابلنا الاخ مصطفى حليل رحمه الله عليه.

وكان رجلا عملاقا مثقفا قويا تهابه الرجال وتدرج في الخدمة المدنية من كاتب الى باشكاتب الى ان وصل درجة محافظ مديرية «ولم تحدث مثل هذه السابقة في تاريخ السودان» الذي استقبلنا استقبالا حافلا واستضافنا بمنزله .

وبعد ذلك عقدت عدة اجتماعات لتنظيم ثلاثة حفلات رسمية واخرى خصوصية لكبار الموظفين، وكان الاتفاق ان تأخذ ٧٠٪ وال ٣٠٪ لتجهيز الحفلات، وكان عرضا سخيا قل ان يوجد في اى اتفاق، وقضينا مدة ١٥ يوم حافلة بكل انواع الكرم والترف. ولا يمكن ان تتصور عزيزى القارىء حسن المعاملة التى حظينا بها وقل ان توجد في مثل هذا الزمان.

ولا يفوتنى ان اقول كانت مدينة الفاشر زاخرة بكل انواع الخضر واللحوم وفى فترة اقامتنا بالمدينة شاهدنا كل اسوع الرقصات القبلية والنقارة وكانت هذه الرحلة رحلة العمر. الا اننا عندما ههنا بالرحيل حملناهم هم السعرة الشاقة ولكن حمدا لله وصلنا الخرطوم بالسلام.

كشف الثقلاء لمصطفى خليل

ابتدع الاخ المرحوم مصطفى خليل هذا الكشف لكى يكون مسألة ترفيحية ومداعبات فنية المقصود بها ملء الفراغ فى الوقت الذى لم تكن فيه احزاب سياسية او سياسة بالمعنى المفهوم لوجود المستعمر الانجليزى بل كان كل اهل الفكر السودانى يتجهون نحو السياسة المصرية والاحزاب المصرية وفعلا كان شباب ذلك العهد مولع بالعمل السياسى والادبى والاجتماعى ولكن على خفيف حوفا من بطش المستعمر ولذا نعت فكرة كشف الثقلاء فى رأس الاخ مصطفى خليل ليبدأ دائما وفى كل صفحة باحد الخواجات المتعجرفين المتكبرين من المستعمرين مثلا يقول الاخ مصطفى نا اكراه القرع ومستر فلان الباشكاتب والقرع كان من ضمن الخضروات الشائعة لقله الخضروات ايامها وصارت طعمه مسيخا بالنسبة لاكله يوميا ومستر فلان وملاح الورق مثلا ولكن الحيلة لم تنجح واكتشف الانجليز اللعبة واستجوب مصطفى خليل واستطاع مصطفى وهو كان اكبر مراوغ ان يخرج من هذا المأزق بجلده، ولكى لا تتضح الحقيقة استمر فى هذا الكشف بس هذه المرة كانت باصدقائه السودانين من

العاصمة المثثة فقط معنى كليا تقر اى شلة بأن فلان الفلانى أو واحد من الشلة بدأت تظهر عليه علامات الثقالة يرسل خطاب ممهور بامضاء الشلة ويرسل الى الاخ مصطفى بجميع الملاحظات التى تثت ثقالة العضو الجديد، ويستلم الخطاب الاخ مصطفى ويجمع لجنة من اقرب الاقربين اليه ويقرروا اذا كان الرجل ثقيلا ام لا وبالتالي يرسل للعضو الثقيل جواب وكأنه صادر من جهة رسمية يحطرونه بأنه ثقيل ام لا بعد شرح كل القضية والاصحاب الذين وجهوا اليه الاتهام وفي اغلب الاحيان تثبت حريمة الثقل عليه ويدرج بالكشف ولا يمسح من الكشف الا بوليمة كبيرة مستوفية شروط الحضور وعادة تكون هذه الوليمة عبارة عن قبلة بأى جنبة من جباين زمان نهارية او سهرة فى منزل ملائم للسهرة.

الباب السادس

الاستقلال و ما بعده



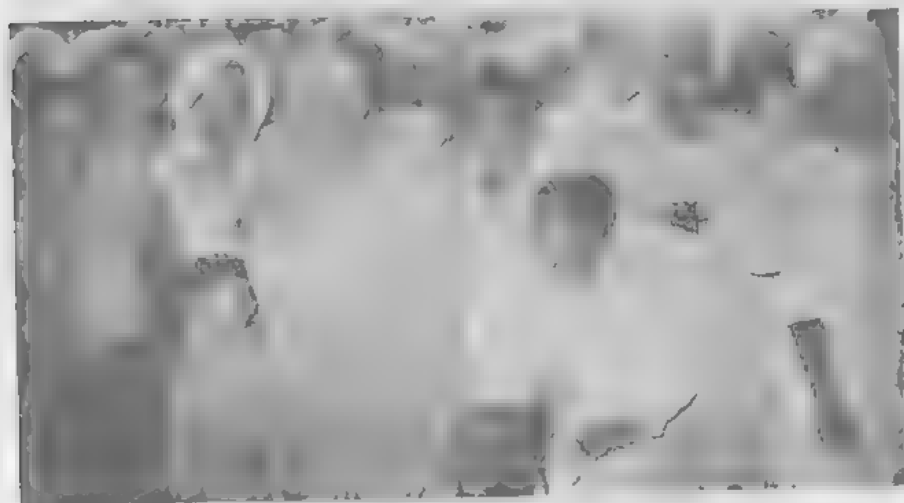
آخر حكم السودان من البريطانيين

إستقلال السودان

في يوم ١/١/١٩٥٦ تمّعت كل جماهير الاحزاب، السياسيون والموظفين والعمال وافراد الشعب السوداني من كل الفئات، حدادين، نجارين، حياطين، بنّيين، مرارعين، من العاصمة امثلثة في ميدان أمام القصر الجمهوري الحالي وحضرت جماهير الحزبين الكبيرين حزب الوطني الاتحادي وحزب الأمة والاحزاب الاخرى



السيدان عبدالرحمن المهدي وعلى الميرغني عند دخولهما



حواء ترندى العلم في ١٩٥٦/١/١م

وكن التجمع رهيباً وكانت صررات قلوب جميع الواقفين تكاد تسمعها واحصر العلم
 السوداني الذي كان اول علم سوداني يحمله الشعب السوداني ، وكانت لحظات
 رهية هتفت الحموع وعلت الاصوات وزغاريد النساء وانهمرت الدموع ، دموع كل
 الشعب والعلم محمول الى المصصة يتقدمه الزعيمان المناضلان السيد اسماعيل الازهرى
 عن حزب الوطنى الاتحادى وبحانه السيد محمد احمد محبوب عن حزب الامة وكان
 علم الاسعمر النوبين حاك بلوانه الرهية يرفرف ووقف الاستاذان الازهرى ومحبوب
 يحملان لعلم امام مندوبي صاحبة الجلالة الملكة ليرلوا العلم البريطانى ليحل محله
 'نعم السودانى' وفعلا كنت خطاط تساوى سنير رجفت ها القلوب وعلت اهتافات
 الله اكبر لله الحمد الله اكبر ولله الحمد وينزل علم الانجليز بأيدي الانجليز انفسهم



الاحتفال المقام بمناسبة الاستقلال ووداع الحاكم العلم

وأبصا العلم المصرى . وهدوء شديد ينزل العذمين الى الارض وفي نفس اللحظة رفع العلم السودانى بنفس الهدوء الى العلاى الى اعلى رأس السارية ووصل ورفرف وعبت احتفالات الله اكبر الله اكبر الله اكبر والحمد لله كثيرا ويكى الرعاء ويكت الحموع ونزلت دموع الفرح بقا كان يوماً عظيماً ولن يتكرر بالطبع .

فقد كنا نتطلع كثيراً الى يوم الاستقلال اما نحن الفنانين وكنا لا نتعدى اصابع اليد ، احمد المصطفى وأن وحسب سليمان وعبد الحميد يوسف وابراهيم الكاشف نلتقى فى كل شىء ، فى رأينا خصوصاً فى حكية استقلال السودان بالرغم من انتهاكنا لآحزاب محتتمه ولذلك كما تتغنى بالاغتنى السياسية المختلفة مثل « لسودان يا بلدنا نحن الفيك اتوبدنا الحايين بعدما تلقوا الخير فيك أدنى وهى للشاعر على نور المهندس شاعر المؤثر وفى القواد ترعاء العباية للشاعر المرحوم يوسف الننى



وداع الجيوش البريطانية والمصرية فى يوم الجلاء

والاعانى لشعبية واكثرهم مثل يا غريب بلا لى بلدك وكنا نشارك فى الليالى
لسياسية وافتتاحها بالاناشيد الوطنية . وكنا نطمح فى تقدم السودان وقيادته لافريقيا
عبر ن ما تراه اليوم من تردى وخراب وفوضى لم يكن يخطر لنا على بال .
عندما خرج المستعمر من لسودان لم يترك الخزانة فارغة كدأب كل حكومة من
لحكومات الوطنية فقد حلف اكثر من ٣٥ مليون جنيه .
اللهم احفظ للسودان وحدته وجنبه المزالق وعجل برفاهية شعبه الطيب انك
السميع المجيب .

أطول واضخم رحلة فنية لجنوب السودان

فى ديسمبر ١٩٥٩م وبعد شهر واحد من افتتاح المسرح القومى بامدرمان شكت
الاذاعة اضخم بعثة فنية فى تاريخها لتطوف كل الاقاليم الجنوبية ومراكزها فى رحلة
استغرقت ٤٥ يوما قطعت البعثة خلالها ٦٦٠٠ ميلا سيرا بالعربات . وكانت البعثة
تضم حوالى ستون فردا من الفنانين والممثلين واوركسترا الاذاعة وفرقة موسيقى القوات
المسلحة بالإضافة الى اداريين من الاذاعيين وسرية حراسة وقيادة من سلاح الخدمة
وقد بدأت البعثة مسيرتها من دار الاذاعة بامدرمان حيث قضيت اول ليلة بالمسرح
القومى لتبدأ مسيرتها فى الرابعة فجر اليوم التالى الى الشجرة ثم جبل أولياء حيث
اصممت اليها فرقة موسيقى القوات المسلحة وسرية الحراسة والقيادة . ومن ثم بدأت
اضخم وأطول مسيرة اذاعية .
وضمت البعثة :-

من الاداريون المرحوم محمد عبدالرحمن الخانجى المراقب العام للاذاعة حينئذ
والاستاذ محمد خير عثمان المشرف على المسرح القومى ورئيس البعثة والاستاذ عبدالله
رجب صاحب ورئيس تحرير حريدة الصراحة . . والمراسل الرسمى للجريدة والاستاذ
خلف الله احمد نائب رئيس البعثة والفنان حسن عطيه صلاح ابن البادية صلاح
محمد عيسى محمد احمد عوض - الممثلون الفاضل سعيد عثمان حميده محمود سراج
السر احمد قدور اسماعيل خورشيد ملوحىست الفنان الكبير الراحل «بلبل» .
راقصون : بامبو - ابراهيم افريكاو - طباخ عبداللطيف سائقى الكهوف كرسى ،
عباس الطيب ، على مساعد ، شتيوى كمساعد - اذاعة محلية فى واو وحوبا - المهندسين
- خلف الله والشاذلى عبدالقادر ورفاقهم
وقد ترأس اوركسترا الاذاعة فى البعثة الاستاذ شبير عباس بينى ترأس الرائد عوض

محمود موسيقى الجيش وبعد رحلة بالعربات من الخرطوم استمرت ٤٨ ساعة وصلت البعثة الى ملكال ثم واصلت مسيرتها عن طريق بور، الى واو عاصمة بحر الغزال حيث تبدأ البعثة نشاطها في طوافها الفني على جميع المديرية الجنوبية.

وفي اول أيام البعثة في واو تمت عسكريتها اذ ارتدى جميع افرادها الزي العسكري الذي كان يحمل شعار القيادة الحزبية وكان ذلك الاجراء ضروريا لسلامة افراد البعثة اذ انهم وطوال فترة الرحلة سيكونون في ضيافة القوات المسلحة كما ان اقامتهم خلال الرحلة ستكون في عمليات القوات المسلحة اذ ان الاشتباكات العنيفة بين الجيش وقوات التمرد الاولى كانت في عنفوانها.

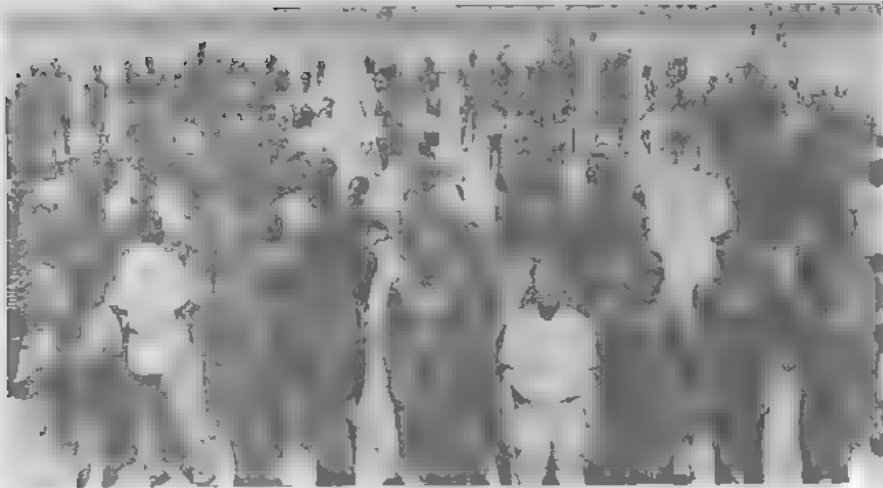
وكانت البعثة قبل مغادرتها الخرطوم قد زودت بالمتاع العسكري والذي يسمى «السيرة العسكرية»، وصرف لكل افراد البعثة وكان يتكون من سرير سفرى، بطايتين صوف وناموسية... الخ كما كانت هناك عربات «تعيينات» احتياطية تتكون من المعدات والعقدس والارر والدقيق والشاي والسكر... الح... يرافقها طباشير مدني عين خصيصاً لهذا الغرض.

وشهدت واو خلال تلك الايام تجمعا عسكريا ضخما ضم كل القيادات العسكرية في الجنوب وجميع الحكام العسكريون هناك اذ انه من المقرر ان يصل الى واو الرئيس الراحل ابراهيم عبود حيث يلتقي هناك بالقيادات العسكرية وقصت البعثة اسبوعها في واو تقوم بنشاط مكثف فهناك سهرات غنائية تمتد الى ما بعد منتصف الليل واذاعة متنقلة لتغطي مساحة خمسون كيلومترا حول واو، بينما الاداريون منهمكون في اجتماعات متصلة مع القيادات العسكرية وحكام المديرية ممن ستزور مناطقهم حيث وضع برنامج دقيق للتحرك من مكان لآخر وموعد الوصول محدد بالساعة والدقيقة والغريب والمدهش حقا في برنامج هذه الرحلة الانضباط الدقيق في المواعيد فلم يحدث ان غادرت البعثة موقعا والوصول الى موقع اخر دون ان يكون ذلك في الموعد المحدد تماما رغم طول الطريق وصعوبة مسالكها احيانا، عين المرحوم اللواء الطاهر عبدالرحمن قائد القيادة الجنوبية ليشرف شخصيا من مقر قيادته بجوبا على التحركات اليومية للبعثة وخط سيرها بواسطة اللاسلكي مع وحداته العسكرية المختلفة..

ولا بد لنا من التوقف لحظة للتحدث عن اهداف هذه الرحلة التي خطط لها اللواء (م) محمد طلعت فريد وزير الاستعلامات انداك فقد جمعت عدة اهداف تحققت جميعها، كان الهدف الاول هو الترفيه عن جنودنا في مواقعهم وشمل ايضا المطربين في عواصم المديرية اما الهدف الثاني فهو بث فنون الشمال لاختواننا الجنوبيين بواسطة



ليلة من ليالي اسمره



رحلتي الى جنوب البلاد

الحفلات التي تقيمها البعثة وتبث ايضا عن طريق الاذاعة المتقطعة المصاحبة للبعثة للمناطق المجاورة. اما الهدف الكبير الاخر فهو تعرف اعضاء البعثة على الفنون الجنوبية المختلفة وقد تحقق هذا الهدف جليا عندما وصلت البعثة الى مدينه [ياي] وهناك اكتشف الفنان الشعبي القدير (يوسف فتاكي) الذي عرف فيها بعد هو وفرقته في جميع انحاء السودان باغنيته الوطنية الشهيرة:-
ياي بلدنا سودانا وطننا . . . وكلنا اخوانا

وغادرت البعثة [واو] بعد مهرجان شعبي عامر استمر لاسبوع كامل حضره جميع سلاطين بحر العزال وشاهدته مجموعات قبائل بحر العزال التي تواذت على اعاصمة (واو) بشكل لم يسبق له مثيل حسبما رواه المسئولين بالمدينة . .

وبدأت البعثة جولاتها بزيارة مدن الزاندي، امنزار، يامبيو، ومريدي ثم ياي وحطت الرحال في عاصمة المديرية الجنوبية (جوبا) وهناك افترق عما المرحوم الخانجي مراقب الاذاعة عائدا الى الخرطوم وكان موكلا من اللواء محمد طلعت فريد مرافقة البعثة في المرحلة الاولى لثلاثمئتان على مسيرتها وشهدت جوب كرسيفتها واو مهرجانا استمر طوال الاسبوع وتقاطرت صوب المدينة افواج مواطني الضفة الشقية والعربية وانتشرت اماكن المهرجان حتى شملت دار سينما جوب التي فتحت ابوابها بالمجان تستقبل افواج المشاهدين من الاخوة الجنوبيين لمشاهدة عروض البعثة الذي وفق تعلقهم بفنانين اختوانهم في الشمال كل الحدود المتوقعة لدرجة ان شعار البعثة وهو عبارة عن اغنية وطنية الفتها البعثة في بداية الرحلة وكانت تؤديها في مطلع كل حفل - اصبحت اغنية شعبية يرددوها الاخوة الجنوبيين في كل مكان في الشارع في الاسواق في السيماء، حتى في الغابة سمعنا لحنا ونحز نعي القرى خلال سفروا وكان لهذا التلاحم فرصة جيدة يلتقي فيها الشاعر والملحن والفنان فكم من اغنية جديدة ظهرت خلال هذه الرحلة ولا عجب فقد كان ضمن جناباتها المؤلف الشاعر، والملحن الموسيقار، ثم الفنان المطرب . .

كم يتمنى الانساق الان وبعد هذه الفترة الطويلة ان نعود نشهد مثل التلاحم بين مواطني البلد الواحد كما شهدناه ولمسناه نحز في ومن جوبا اواخر الخمسينات واوائل الستينات . . . ومن جوبا مسار الركب، ، ، ،

وعصى الرحلة الفنية في أطول رحلة عرفها الفن الغنائي في ربوع الجنوب - وتزور البعثة أعتى مواقع التمرد الأول وأعني بها حل «أكاتوس» وهناك التقت البعثة بكونكة الأبطال الدين يحمون الموقع يقودهم ابدانك الصاغ (الرائد) أس .

ومن ثم فقف لطريقة التي حدثت في عهد وصولها هناك فعندما نزلنا من العربات
 كنا نحملين بالثرى وبعبء وكان علينا ان نبدأ حملنا لعائتي فوراً وقبل ان نحل النظام
 حتى نتجنب الاصطدام بيلا فيكون هذى سهلاً لقوات التمرد التي كانت تعسكر في
 احبب الآخر من حمل . سألت أحد الجنود من الذين استقبلون مرحبين ان كان
 هناك بعض الماء لأغسل وجهي قبل الصعود للنعاء، وعاب اخذني لوهلة قصيرة ظهر
 بعدها . سأل صاحك ثم قال موجهها حديثه الى يا نوعي هه ماى موية، والموية
 موجهه منه . وبمنصه . وردف صاحك . نفس وجهك يا نوعي واصنع المسرح
 . ونحرب صاحكين ورايت المعة بعد ذلك اقلبه اعالى السيل لتعود بعدها الى
 الخرطوم بنفس العربات.

وفي طريقى حسب شاطئ ناجر حفلاتها العنائية بمدينة «الربك» وكانت ليلة
 عذبة حق، وقد نعى يومها أعضاء السعة بتقديم زروع انتاحهم ومع ذلك كانت
 علامات خزن ترسبه على الوجوه، فقد حلت خطرات الفراق بعد ان ربطت بينهم
 هذه الرحلة لصولة برابط قوى جمعهم يعمدون على كل ما لاقاهم من معائب
 وفي الساعة العاشرة من صباح ايام شهر يناير عام ١٩٦٠ دخل الى مبنى الاداعه
 بأمر من كعبون من العربات يحمل في مقدمته علم القبضة الجنوبية ويرل منه اعضاء
 سعة بريدور ارى لعسكري الذي يحمل سرات القيادة الجنوبية، وبين مظاهر
 الفرحه والعباق عادت البقعة الى دارها الأم.

ومن لطرائف التي لا تنسى عن تلك الرحلة انه عندما وصلنا الى يامبوفى المدبره
 لاستنوية أقمت اذ اردت سعة سمر منقش لمركزه . وكان هناك مرحوم احسنى ومحمد
 حه عثمان وحلف الله حمد ولاسناد عبدالله رحب وشخصى . وأعظيت بعض
 ملاسى التي سأظهرها على المسرح للخدام ليقوم بكيها . وفي المساء عندما كنت
 ساعد لذهب للحفل اكتشفت ان النايون (الكرافة) التي سأظهرها في الحفل قد
 حرقتم قدامى . وبشب بيى وبين الخدام هو من أساء المنطقة وكان لا يجيد العربية
 مساقشة حادة فقد وضعنى في موقف حرج اذ كيف يمكن ان أظهر في هذا المسرح
 خصوصاً ان اخفل سيؤممه عدد كسر من المواصين . وتدخل الاحوة اذ رسو المعة نقص
 لبراع ومن ثم توجعت للمسرح حانقا، سبى بقى الاحوة الادريون بالدار في محاولة
 لتهدئة الخدام الذى كان يظن بحكمه عدم حدوثه للعه العربية بأنى قد أسأت اليه
 وما ان أدبت وصتتى بالمسرح فقلت عائداً للدار، والتي لم تكن تنعد عن مكان
 حفض كثيراً . وبمجرد دخول الدار وكان الوقت يفارب منتصف الليل هرب سب الخدام
 يقف أمامى عاصبا وعنده تندر بالشر وتوجعت الى غرفتى وأباً غير مطمئن ولم يكن

المثلث نور كهرمانى وابها كانت هناك رتبة واحدة مصيئة بالصالة كانت كافية لاصابة
 العرفه التى كنت أقصدها بنصص من سرر ووحاة وبينما انا أشرع فى استبدال ملابس
 اخلل د بربيه يفر صوؤها وداطبع انحه تفكرى كله الى الخادم وانه شرع فى
 لاقتفاء ملى . وبمسست صريقى لى سرير الاح اخانجى الموجود بالغرفة اذ اننى كنت
 عيم نأه يحتص سدنيته التى كان يحملها معه من الخرطوم للصيد بحوار سريره .
 وفعلا وجدت السديبه وفمت بتعصبرها وقد كان الخادم يراقبى من خارج السديه ، وهنا
 بصراب سريبه تمدا . وجنست فى وضع استعداد وكنت واجهة الصالة عبارة عن
 مسه ومكنت فى دلت الوصع مدة خمسة وعشرين دقيقه وكنت حائفاً ومستعداً
 لاصلاق اسار فى ايه لحظة دا سمعت أى صوت من الخارج وفجأة سمعت اصواتاً
 بين لعدة وسرر وخطر سالى ان اخذه استعداد معص معارفه وعدد للانتقام منى بعد
 ان عرف نى بالمنزل بمفردى .

وقربت ن صق اسار عنى تقدم من محرد اختيارهم للغايه . وكان الظلام د مسا ،
 فى لحظه اننى صهرت فيها الأشباح وبينما استعد لاطلاق النار عم لمكان صوء
 كان عريه ددمة فتهملت وتهلل القدمون ووقفت لعرة أمام المزل وبزل مهب
 المرحوم خاسجى ولم يكن القادمون الذين كنت أبوى إدلاق النار عليهم سوى الاحوة
 محمد خير وخلف الله احمد .

وكنت السكنة اسى صص صحت كلم تذكرناها طوان فترة الحلة .

ابو المسرح القومى

من سسى تاريخ نص فى السودان دور اللواء محمد طلعت فريد وزير الاستعلامات
 فى عهد صريق عود فى انشاء المسرح القومى ، فقد كان هو صاحب فكرة إنشائه وهو
 سى كرس كل وقته وجهده لىء وتشبيد للمسرح القومى فى فترة وجيزة لم ترد عن بضعة
 شهر . وكان الرجل يحصر الى موقع المسرح فى السادسة صباح كل يوم ويبقى مع
 لعيون والنائب حتى الثامنة صباحاً حيث يوجه الى مكنته ليعود مرة اخرى عند
 الظهر ويبقى معهم حتى وقت متأخر من الليل ، اى ان اكتمل المسرح وبدأ نشاطه
 وللمسرح القومى قصة .

فى مسى الاداعة القديمة - كان الاستاذ على شمو يقيم سهرة موعات شهرية
 تداع حبه وكانت قريبة الشبه من السهرة التى يقدمها الاستاذ جلال معوض من
 الاذاعة المصرية انداك «أضواء المدينة» .

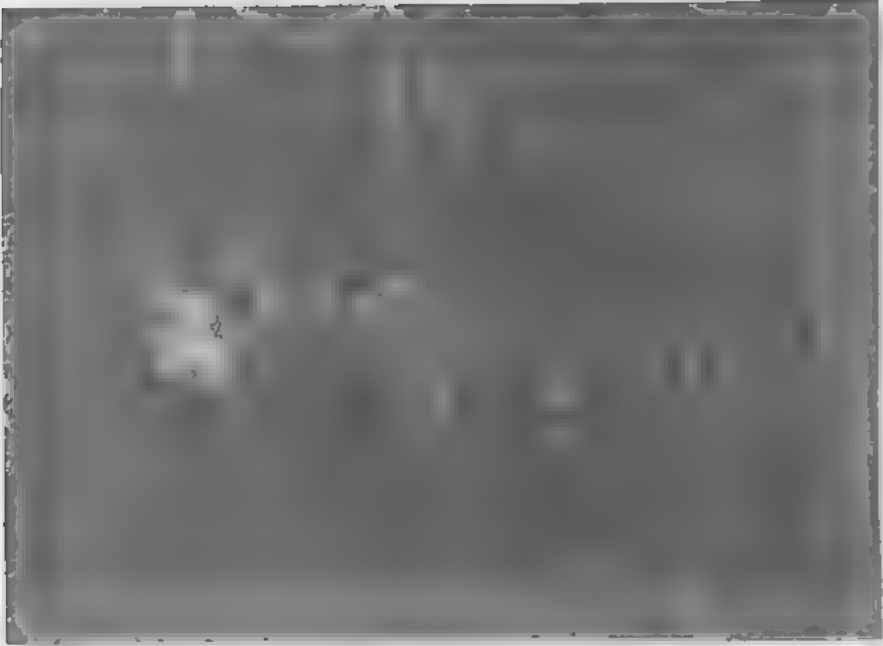
وكان حضور سهرات الاستاذ على شمو من المواطنين بدعوات مجانية توزعها الاذاعة، وعندما انتقلت الاذاعة الى مبناها الجديد كانت هناك ساحة كبيرة اتاحت للاذاعة التوسع في سهراتها الشهرية حيث كان قسم البرامج يقوم ببناء مسرح خشبي في مكان المسرح القومي الحالي وكان يشرف على المسرح والحفلات الاساتذة محمد خير عثمان والمرحوم عثمان على حسن وسليمان داود وحلف الله احمد، وكان الاقبال الجماهيري على هذه الحفلات المجانية منقطع النظير.

وعندما جاءت حكومة الراحل الفريق إبراهيم عبود وعين اللواء طلعت وزيراً للاستعلامات كان يحرص على حضور هذه الحفلات ولم تلبث الفكرة ان نبتت في ذهنه فشرع في تنفيذها على الفور. وهكذا ظهر المسرح القومي للوجود ليصبح قلعة ومنازة للفن الغنائي في السودان وللاستكشافات الفكاهية. وظهرت للوجود شخصيات تورايجر وأبوقبورة وشخصيات الفاضل سعيد النمطية، وكان اللواء طلعت حريصاً على متابعة أنشطة المسرح المختلفة متابعة دقيقة بل كان رغم مشغوليته الكثيرة والمتعددة يشرف عن كثب على كل صغيرة وكبيرة وكانت مسودة برنامج الحفل تعرض عليه سلفاً قبل الحفل بعدة أيام. واذكر في إحدى الحفلات انه انتقل من كرسيه في الصالة الى غرفة مدير المسرح وكان وقتها الاستاذ محمد خير عثمان واقترح عليه تقديم فقرة مسابقة غنائية بين الرواد المتفرجين وعندما ألدى الاستاذ محمد خير دهشته لهذا الاقتراح المفاجيء، شرح اللواء طلعت اقتراحه بسؤاله لماذا نجرى مسابقة للاصوات بين المتفرجين؟ لا شك ان بين هذا الجمع صوتاً غنائياً نستطيع اكتشافه اللبلة. واتفق اللواء طلعت مع محمد خير على ان يكون ترديد «يا قائد الأسطول» هو موضوع المسابقة.

وتقدم ١٠ من رواد المسرح للاشتراك في المسابقة. وفي تلك الليلة أعلن عن مولد فنان جديد أثرى الساحة الفنية بعدها بصوته الساحر الجذاب وهو الفنان بادي محمد الطيب وهو واحد من المتسابقين العشرة.

واللواء طلعت فريد ايضاً صاحب فكرة فندق المسرح القومي «مبنى التلفزيون حالياً» وكان مستوى الخدمات في ذلك الفندق على نفس مستوى خدمات الجراندي أوتيل. وكان بالاضافة الى الفرق الزائرة يؤمه المواطنون مساء حيث خدمات حديقة السطح، وفي عهد طلعت فريد ولد التلفزيون في شكل هدية من ألمانيا الاتحادية، والرجل ايضاً صاحب فكرة الرحلة الفنية الى الجنوب والتي وردت تفاصيلها في أحد فصول هذا الكتاب.

وظلعت فريد عرفت عنه مواقفه الانسانية في صورها المتعددة، في احد المرات



الاحتفال بمناسبة اهداء الصين ستارة للمسرح القومي



الرائد التاج حمد

كتب له شاب من الجريف في طريقه للزواج ، كتب له يحكى عن الصعوبات المادية التى واجهته الى ان اكمل متطلبات الزواج الا أن أهل العروس أصروا ان يحمي رفاف بنتهم الوحيدة الفنانان احمد المصطفى وحسن عطية وانه لا يملك لذلك سبيلا . . فما كان من اللواء الا ان حول الرسالة الى الصغ (الرائد التاج حمد) مراقب الاذاعة ، فقال له اقرأ هذه الرسالة فقرأها التاج وقال له اللواء : هل يمكن ان تنفذ هذا الكلام؟ فقال نعم ، سلمه الرسالة وقال له نعم . فدعانا السيد التاج حمد أنا والفنان احمد المصطفى وطرح علينا الموضوع وقبلناه فرحين مستبشرين وفعلاً قمنا بإخطار العريس وحددنا له اليوم وطلبنا منه أن يحدد لنا المكان بالضبط . واستعدينا في اليوم المحدد أنا وزينبى احمد المصطفى والعازفين لاقامة الحفل . واستعد مدير الاذاعة بالميكروفونات وجهاز مسرحاً متنقلاً وكشافات الاضاءة وثلاثة خرفان وكاميرات تصوير وجميع مستلزمات الحفل وذهبنا الى القرية واستقبلنا استقبالاً عظيم وسهرنا بالعروسين وضيوفهم حتى الساعات الاولى من صباح اليوم التالى . وشهدت الجريف حفلاً رائعاً لم تشهده من قبل .

أطال الله عمر اللواء محمد طلعت فريد وجزاه كل خير لما قدمه لبلده ولمواطنيه وللفن بصفة خاصة . والتحية موصولة الى العميد الركن التاج حمد .

فرصة ضاعت

● في أوائل الخمسينيات وأن أسعى حثيثاً في حياتى الفنية واخذت شمس شهرتى ومجدى تملأ الافاق ، أرسل لى الرحالة السودانى أحمد حسن مطر من امريكا عن طريق وكالة حكومة السودان بالقاهرة التى اتصلت بدورها بمكتب الاتصال العام بالخرطوم والاذاعة حيث عنوانى لتوصل لى رسالة مطر لى وكانت رسالة مختصرة جداً ، فحواها انه سمع بان هناك فتاة اسمها سعدية القودية ترقص وتغنى وتعزف على العود وطلب منى ان اتصل بها لدعوتنا معاً فى حولة فى امريكا الشمالية والجنوبية ينظمها هولنغنى للمجاليات العربية هناك .

ولما لم تكن لى معرفة سابقة بالرحالة احمد مطر كما اننى تخوفت من تلك الرحلة ظناً به غير جاد ولما كان السفر الى اوربا لم يخطر لى على بال فى ذلك الزمان فقد رأيت فى عرض السيد مطر ضرباً من الخيال وعلى سبيل التندر ، نقلت فحوى الرسالة الى سعدية فقالت : «هى امريكا دى وين؟! فرديت والله سؤال وجيه . . ونسيت

موضوع الرسالة تماماً على انى لم اشعر بانى قد اضعفت فرصة ذهبية الا حينما عاد السيد مطر للسودان نهائياً بعد الاستقلال وبشر مطر مذكراته المثيرة في اوائل الستينات وقرأت فيها الجولة المثيرة التي نظمها لمغنية رنجية من امريكا الوسطى بعد ان فقد الامل في اتصالها به واسمها «أسترك» وطاف بها كل امريكا الشمالية والجنوبية فجنى من ذلك مالا وفيراً ما هي فبجانب ما جنته من مال فقد اصابت شهرة ومجداً فعضضت ننان الدم على ما فاتنى في امريكا وربما استقرت في البرازيل مع مطر حيث كان يعيش وغنيبت خدائى بالاسباب نيولى.

الباب السابع

الأغاني

في الفؤاد

للمرحوم الشاعر يوسف النني

في الفؤاد ترعاه العناية بين ضلوعى الوطن العزيز

لعداه بسوى النكاسة وان هزمت بلملم قوايا
غير سلامتك ما عندى غاية انشاء الله تسلم يا وطنى العزيز

مرفعينين ضبلان وهازل شقوا يطن الاسد المنازل
تبقى حزمة كفانا المهازل ونبقى درقة وطننا عزيز

ليه ما ارعى الوطن الرعائى والدهاه اشيلو واعانى
الشباب والشيب شجعائى قالوا نفدى الوطن العزيز

شفنا فيهم جواب فيافى والبطبروا بسابقوا السوافى
ما مراد عفارم عوافى غير بمجد وطنه العزيز

من خلوق الريف لى سدودها البلاد معروفات حدوده
سوداننا جبهة النبقاله خوزة ونبقى درقة وطننا عزيز

طبيعى اعشق صيده ورماله ما بيعه واقول مالى مالى
ما يكون آله البى حبالو داير يكتف وطنى العزيز

عندى وطنى بيقصلى حاجة ما بسببه واروح لى خواجه
يغنى بلده ويحيجنا حاجة لعدوك يا وطنى العزيز

بدينى افخر واعتز وابشر ما بهاب الموت المكش
وما بخش مدرسة المبشر عندى معهد وطنى العزيز

فى الفؤاد ترعاه العاية

لنشعر لمهندس لدبلوماسى لمرحوم يوسف التى يصف فيها قوه المرفعين - صلال
- هارب - الشقوا بطر الاسد المنازل وهى وطنية سياسية كاملة الدسم اعصى ايام
عد كخرجه من المدرسة مباشرة وكان يجرى فيها احدى حان اعلى خليل

بنى الاسلام

بنى الاسلام يا وفودنا قوموا نحى المجد القديم

ما تلاشت وضاعت جهودنا وما اختمت واتسخت عهدنا
لما كان الاسلام يقودنا تحت رايته انتصرت وفودنا
اقرا الآيات هن شهودنا كيف بنرضى الاوهام تسودنا
قوموا نوفى لله عهدنا ديننا دين الله القديم

بطلوا التحيز فى الدواير قوموا هبوا وصفوا الضمائر
احيو واجب الدين والشعائر انقذوه وزبحوا الستائر
دينا دين الحق والبشائر ما تحرف على اصله ساير
كان قبيل فى مهده ساير كان مثال للعز والسراير
ما اضمحل وما كان زميم

انصروا الاسلام شيلوا رايته فوق رؤوسكم قامت بدايته

بشوا حول العالم دعايته
صارخ الاسلام من رزايته
المجد لا بد يلقي غايته
تلقى منه النصر العظيم

انت سيد الكون يا الاهي
انت فينا الامر وناهي
تعلم الاسرار ماك ساهي
كي نرى الاسلام مجده زاهي
واجعل التنزيل لي نديم

بنى الاسلام

ابراهيم النور سوار الذهب

يبدأ الشاعر قصديته الدينية مستنقراً وفود الاسلام وسبه ليعيدوا ما كن للاسلام
من مجد وسؤدد ثم يذكرهم بأنه لم تضع جهودهم الساقطة وعهودهم التليدة عندما
كانوا متمسكين بكتاب الله القويم الذي لم يكن يوماً مهزوماً ولا كن رميمًا
وايضاً يدعوهم لكي يملأوا العالم بقوة الاسلام السدقة والحالية على ايديهم وعلى
كل ساع ارشاد سعائته وكل محمد في هذا السبيل سيصل بإذن الله الى ما يصبو اليه
ويختتم الشاعر قصيدته بانتهالات وتعظيم لسيد الكون وحالقه وصع كل كل مال
الشعوب الاسلامية وآملها بين يدي الله لكي يعود الاسلام كما كن واقوى ويدعوهم
اخيراً لكي يكون كتابه الكريم حير جليس ويديم .

ست العربية

للمرحوم الشاعر بشير عبد الرحمن

دي صدفه في الحمال شغلت علينا الال
والليلة كانت عال خلبت صديقنا (حمال)

مشيا	قصر	السييل	بين	الرياض	ع	النييل
رونا	الرداعى	عليل	ولحب	ده	شيلو	تقيل
دك	ابو	الاشبال	سعدنا	في	النمنا	
دا	الدوخ	الابطان	وجاب	لينا	الاستقلال	
طسوه		للتوظيف	قالوا	لو	سب	الريف
لكر	حيى	عفيف	يرصى	بالترييف		
ما	يرصى	بالترييف	لو	كان	نفر	في
فاروقنا	فجر	الجيل	قائد	شباب	السييل	
رائدنا	ما	لو	مسيل			
عربيتك	الصيلون		خضرا	وجميلة	لون	
بتسابق	السلون		تسكيلنا	غير	نولون	

ست العربية

للساعر الطالب بشير عبدالرحمن

يقال ان الطالب بشير عبدالرحمن هرب من الاستعمار في السودان الى مصر سنة
 ١٩٥٨ في تعليمه وفعلا التحق بكلية مشهور البراعة، واستمر في اثناء درسته
 وصلت جماعة من الاحوة السودانيين في حارة سوية عديده في اقامته وكانو يعملون
 بال الشايب الصلب بشير موحود وفكر بالانصاف له لتعرف على حاته ادراسيه
 والصحية والمالية ووجدوه حزين وعافيه لا يقصه الا رؤيه نوره ولاهل فملوا به فاد
 لا تعود الى السودان ولو في حارة وكان يدور هذا الحور في منهي ختم شارع عدي
 ولم يرل هذا المقهى واحبواى موحود في لان وفي اثناء وجودهم وحوارهم مع الشايب
 بشير وكان من بين الاحوة محي لديه حمد يوسف، مروت بالشارع فدا ريشان به
 من سات زوات ذلك العصر وكانت تقود عربيه بنسبه واسترعهه من الاحوه
 الملويين اوقفت عربتها وبرت وكانت محبته واضه كانت اعلاميه وحبتهم وحبوه
 وقالت لهم من اين انتم فقاموا له من السودان وبعد ان عرفت هويتهم

طلبت منهم ان تقسمهم في سوارع مصر وصعدوا فاقفوا جميع وموت رول سار
 وكان قصر النيل شمدل سعد باسماء بكري قصر النيل وكان شمس شاعر مبدعي
 افعل بهذه الرحلة وجمها وتكلم عن نفسه وعن ملك وروق وسعد وحوه فابير

طلبوا منه الرجوع الى السودان والكفاح من الداخل ولكنه اصر على مواصلة دراسته وانتهى وكانت ايام رمان ومطربى رمان وسفرهم لمصر وتسجيل اغنيهم وكان من بينهم الفنان الراحل الشاب ابراهيم عبد الجليل وكانوا يسافرون بالقطار وقابلهم الشاعر بشير ومعه القصيدة كاملة وهداها له ليشحنها وبغيبها، وفعلا غناها ابراهيم وبعد فترة من الزمن تعارفنا انا و ابراهيم ، وطلبت منه ان يهدنى القصيدة لاني معجب بها لاني كانت اول اغنية سياسية غير مغلفة وخفية من حيث الكلمات والمعاني وصرت اغنيها في كل مكان ولكن لم اسجلها لاي جهة رسمية

المدرسة

كلمات ولحن خليل فرح

يلا	يمشى	المدرسة	سادة، غير اساور غير رسا
يلا	سيى	الغطرسة	قومي افرزى كتب المدرسة
الساعة ستة دقت يا ام رسا			نايمة والمنسبه حارسا
يلا	نحضر	مجلسا	وانتى لسه لينه مملسة
بكسرة تبقى عادة ومخلصة			ما بتفوت عليك مخالسة
دارسة مالك جاهلة محنسة			قادلة بى. كتابه مؤنسة
حاشا ما تربيتى مدنسة			لسه لسه عزك ما اتنسى
قالوا جاهلة وخاملة مدسدسة			ابدى من عليمه مقدسة
اسألهم اهل الهندسة			الدنيا دايرة وله مسدسة

المدرسة

خليل فرح

الفه الخليل لاول فتاتين سودانيتين دخلتا مدرسة الاتحاد العليا في العشرينات وهم نقيه فرج بيه ابوزيد، واحدى بنات اسرة الخانجي المعروفة بالعلم والمعرفة وكانت نقيه ايضا اول من قادت عربة خاصة تملكها واول من عزفت على البيانو الذى كان ملكها ، يدعت ، اجادته وسوف اتكلم عنها في غير هذا المكان

فتاتى وبلادى

سلام فيه تبريح وشوق
وشوق الحر تعشقه النداما

يا فتاتى انت لا تدريين ما بى
من هوى تلك الروابى
فى ضفاف النيل كم يحلو عذابى
هى لحدى هى خلدى هى مائى . وسرابى

يا فتاتى اسكى فى الكأس خلدا
واسقنيه حنظلا ام كان شهدا
اسقنيه لا تبالى قد اتى اليوم المفدى
قد قسمت ان اعيد اليوم للسودان مجدا

يا بلادى	من حياتى من دمائى	هات كأسك فاملئيه
يا فتاتى	انت طبى ودوائى	فهاك جرحى ضمديه
	فانت يا ليلى وبلادى	
	كل شىء فى فؤادى	

حسين عثمان منصور

هذه الاعمية الوطنية لعمها الشاعر نشأت الشاعر على الاستعمار وهى من الاعمال
نغمته وتحتوى كل انواع الكلمات التى تعنى طرد المستعمر وتحلى فى كلماتها حيث
سلاعة والمعنى المردوحة ذات الوجهين العزل الربيع والطرب - طرد المستعمر سلاعة
ودبلوماسية عذبة وكان الشاعر الشاب لم يتجاوز العشرين من عمره وكان طالما
بالشورى ،

اغنية الجنوب

كلمات المرحوم المرضى محمد خير

خفه	شوق	طروب	كلما	قيل	الجنوب
جنة	الخلد	قطوف	وزهور		وطيوب

وهذا القلب ونادى اين منى يا جنوب

قبل	الطل	الزهورا	يتنحن	سكارى
وسقى	الفجر	الثغورا	فتمايلن	المذارى
وكسا	الغيم	التلالا	فتمددن	ظلالا
والندى	ذاب	وسالا	يحمل	السحر شمالا

واتى	النيل	الضفاف	فتراقصن	خفافا
يقترفن	الحب	والمنحة	والفرحة	والود اغترافا
وشدا	الطير	وغنى	شاعر	يسكب الحنا
قدسيا	ليس	يفنى	يملا	الارواح فنا

مثما تهبى القلوب اين منى يا جنوب

اين منى	ذلك	الوادى	وهاتيك	الجبال
---------	-----	--------	--------	--------

والنبدى الرقراق ينسد اب وتمتد الظلال
والربى تختال فى وشى وتختال التلال
والنسيم الرخو يلهو والظلال العذب الذلال
والعدارى الفيد كالليل هدوء وجمال
نحن يا قلب جنوب والهوى فىنا شىال
هف نفسى يا جنوب ايمن منى يا جنوب

(الجنوب) جنوب السودان

هذه القصيدة نظمها الشاعر المهندس مرضى محمد حير (مبيان) عندما نقل الى جنوب السودان للعمل الحكومى هناك وهو مكره لبعث الجنوب عن العاصمة ولصغر سبه والغربة. وصل مقر عمله باخضوب واندشش جدا عندما وجد غير ما كان يفكر فيه وجد عالم اخر، جمال الطبيعة فى غاباتها فى نيلها المتفرع المشحون بكل انواع حيوانات النيل المفترسة والاليفة المسالمة وحسان الجنوب باجسامهن الانوسيه ورفصاتهم الحميمة التى تقدم كل يوم ليلا تدق فيها الضبول ويرقصون رواحا ويتعنون باعلى تناسب مع الوقت اذا فصل الخريف او لشتاء اوزمن الحصاد واندماج الشاعر (مبيان) وبسى كل شىء عن الشمال وفى تلك اللحظات حصر من الخرطوم ابو الصحف والاعلامى الكبير احمد يوسف هاشم وزار صاحبه المرضى واطنه سكن معه وقضى ماموريته وقفل راجعا الى الخرطوم ولكنه لم يرجع وحده بل كان يحمل معه هذه القصيدة مرسله بتوقيع مرضى لكى الخنثى واغنيها فى الاذاعة ويسمعيها فى الجنوب فى اقرب فرصة ان امكن برجاء شديد ولم اخيب امله بل قمت باللحن والغناء وسجنتها فعلا ونحن صورت فيه الوابور وصوتها وكيف انجرت ووصفت حالته بعد ان حكاها الى ابو الصحف.

سعاد

كلمات حسين عثمان منصور

هوى يا سعاد وانتى يا ثريا نعلن الجهاد ننشد الحرية
هوى يا عذيلة وقلى سلاحى حلفنى الالم ضملى جراحي

يا فخر الشعوب عشت يا سودانى
حرر السهول وانصر البوادرى
يا فخر الشعوب عشت يا سودانى
كسرت القيود حققت الامانى
يا فخر الشعوب عشت يا سودانى

طرزى العلم غنى لى كفاحى
دقات الطبول هتفت لىك تنادى
وازحف كالسيول فى وجه الاعادى
فى كتاب الخلود سجلت المعانى
لىك بالسروح بجود رددت الاغانى

سعاد اعنية وطنية

للمشاعر حسين عنيمن مصور احدى روائع الشاعر حسين عنيمن مصور نكتته
خريف وبعدها عن مدح اى شخص غير السودان وارص السودان وست السودان
زعلم السودان وجهاد السودان وتعليم السودان . . .

جنائين الشاطيء ✓

كلمات ولحن خليل فرح

بين جنائين الشاطى	وبين قصور الروم
حى زهرة روما	وابك يا مغروم
درة سالبة عقولنا	للسوها طقوم
ملكة باسطة قلوبنا	تبیت عليها تقوم
الطريق ان مرت	بالخلوق مزحوم
كاهلال اهل	الناس عليها تحوم
شوف عناقيد ديسا	تقول عنب فى كروم
شوف وريدا المائل	زى زجاجة روم
القوام اللادن	والحشا المبروم
والصدير الطامح	زى خليج الروم

خلی	جات	متبوعة	الصافية	كالدينار
فی	القوام	مربوعة	شوقا	عالية
موضة	آخر	موضة	هيفا	غير
روضة	داخل	روضة	غنى	فيها
شوف	جينا	اهل	ضو	فوقه
منه	هل	الشارع	منه	بق
طالعة	ما	تنقابل	زى	لهيب
تحرق	البتهابل	والبعيد	فى	نار

بين جنابن لساط ومن قصور الروم حى زهرة روما وابكى يا معروم
 هذه القصيدة بطمها الشاعر خليل افندى فرح لفتاة يودية كنت تسكن فى قصر
 فى خنى الافريقى شارع المحطة الاوسطى الجمهورية الان ، وكانت الفتاة ذات حسن
 رائع حباه الله بقوم فاره رائع وشعر ذهبي وحضرات موسيقية موقعة وكانت عندما
 يصهر فى اور لشارع يسعها كل المارة الى حيث شاءت واعجب بها الفنان الشاعر
 لاديب خليل افندى فرح ونظم لها هذه القصيدة اعجابا بجملها ونحن نتكلم للتجمع
 فيها وثى معانيها وكيف كان الخليل يتغزل فيها والعريب فى هذه الحكاية ان الفتاة كان
 سمها بديونانى على حسب ما سمعت هو (مربيا) ولكن كان الخليل يجهل اسمها
 ولكنه لم يجترأ اوبكر فداء قصيدته بالمطلع جنابن الشاطىء منازل الانجليز وقصور
 لروم منزل بقية لاجناس من الاجانب (وابكى يا معروم يقصد نفسه وبقية القوم
 من السودانيين وهذا يكون خليل قد انتهى من وصف مدينة الخرطوم / والعريب فى
 الموصوع ان الفتاة عرفت بان احد شعراء السودان عمل ها قصيدة يتعنى بها جميع
 اهل العاصمة اثلثة واصبحت مشهورة جدا ويعرفها جميع اهل العاصمة ويقال لها
 طربت من الفرح ولم تنه لايام طول لانها ما كنت تعرف انها هذا القدر من الخيال
 وصفت من حذمه ان يعرفوه هذا الشاعر لتشكره ولا اعلم هل تم اللقاء ام لا بل
 عرف انها تروحب احد اناء حنسها والعجيب فى الامر بها لم تعش معه كثيرا بل
 تزوجت ايضا من طبيب كان يسكن مدنى وعاشت معه باقى عمرها ولم يزل منزلها
 موجود حتى الان وقد اشتراه السيد السفير السودانى الامين محمد لامين ويسكن فيه
 لان هو سرته عماد الملرل الطريف واصحاب المنزل .

فردا لونا

كلمات محمد احمد محجوب

غنى من لحنك العذب الحنونا رب لحن يملأ النفس شجوننا
واذكرى البدر على خضر الربا يانعا غضا على مر السنيننا
فضض الماء فضجت حوره تتفنى يا حبيبى فردا لونا

فانثنى يخطر فى الروص ثنا يبعث الفتنة فيه والفتونا
ويتاغيه بالحنان الهوى ويسوشى زهره والياسميننا
فتموج الطير فى اغصانه تغنى يا حبيبى فردا لونا

ذكر البدر وقد طال النوى فتنة الغاب وصداحا مينا
فرنا ينفث فى الغاب الرغى ويشيع البثرة فيه والفتونا
فاذا الغاب اسودا وظبا تغنى يا حبيبى فردا لونا

فردالونا

القمر الياقع - او القمر الاخضر

فى رحلة من رحلات الاخ الصديق العزيز الأديب المهندس الشاعر الفاضل
المحامى السياسى الى اوربا فى صيف سنة ٥٤ الى اوربا وفى اثناء تحواله بالقطار وفى
مدينة روما وكان القطار يبت اعانى هادئة حميلة من اغنى وموسيقى جميع دول اوربا
استمع شاعرنا عنوان قصيدة باسم فرد لونا وانتهى اليها وسمعها من اولها الى آخرها
بانتباه شديد فأعجته الاغنية بالرغم من لغتها الايطالية وخصوص عوامها وفى التو
اخرج قلمه وقرطاسه وسطر الاغنية الفيردالونية الحديدية السودانية ورجع المحجوب الى
السودان . وذهبنا له للتحية والسلامة وبعد لحظات اخذنى الى احد صواليته وقال لى
سأهديك هدية تذكرنى بها مدى الحباة واخرج الورقة بسرة وقرأتها عليه مرتين وثلاثة

ورحلت اردد فيها كذا يوم باحثاً عن اللحن الذى يليق بعظمة الاغنية وفكرت اخيراً
 بان بعض احوالى الموسيقيين الذين لهم باع طويل فى ذلك الوقت ورسى مركبى على
 الاحوين . الله عربى والاخ برعى محمد دفع الله واعطيت كل منهم نسخة للاغنية
 وبعد ان حفظوها وكل واحد منهم وضع تصوره ولحنه الكروكى الاولى .

وحبرت المحبوب بها حصل للاغنية وكلفنى بان ادعوهم للغداء فى اى لحظة فى
 اى يوم وحصل واجتمعوا ودار نقاش كبير اخذ ساعات فى كيف ندخل على الموسيقى
 لمقدمه ثم موسيقى المذهب ثم المذهب نفسه ثم الموسيقى ثم اول المقطع من الاغنية
 ونرى ان الاغنية وكذا بشارك فى تركيبة اللحن حتى امحسوب نفسه كان يشارك
 بان نقول هذا المقطع فى نظرى يشير بهدوء وهذا يجب ان صرخ و . الى آخره
 و :- يقال كان لصلح الأكر للفسن برعى محمد دفع الله افسن عبد الله عربى
 وهكذا لفته اسوع كمن وحرجت الاغنية وغبتها كذا مرة ولاقت رواح لا مثيل له
 وغبتها ايضاً فى عيد جلالة الامراصور هيللا سلاسى ولاقت اعحانا شديداً الاحوة
 الانثوينى رعم اهم لا يعرفون كلمات الاغنية ، ولكهم طربوا ورقصوا فيها لياى
 وليالى .

حى لقا بطلين

كلمات عبد المنعم عبد الحى

حى لقا بطلين يا شادى	حى	امل	منشود
حى [جمال] يا شعب الوادى	وحى	اخاه	عبود
والجفوة الخلقوها اجانب	راحت	ما	بتعود
ديمة نعيش اخوان وحبائب	وجمالنا	شقيق	عبود

حيوا كفاح شعبينا تمثل	فى	عبود	وجمال
وحىوا الحب فى الوادى تأصل	من	اقدم	اجيال
والجفوة الخلقوها اجانب	راحت	ما	بتعود
ديمة نعيش اخوان وحبائب	وجمالنا	شقيق	عبود

سودود	السوداى	يا املوا	يا جمال يا عبود املوا
يجود	الوادى	خير	املوا الودى مصانع خلوا
بتعود	ما	راحت	والحفوة الخلقوها اجانب
عبود	شقيق	وجمالنا	ديمسة نعيش اخوان وحبائب

في زيارة رئيس ابراهيم عبود لمصر ١٩٦٠ بعد عودته من يوغسلافيا وكنت آنذاك في اجازتى السنوية للقاهرة وكانت معى زوجتى وكنت اسكن في اول شارع شريف في شقة في عمارة حسين السيد وكنت على اتصال بالاذاعة المصرية شارع الشريفين وكتبت كل الصحف المصرية بان الرئيس السودانى ابراهيم عبود سيزور القاهرة وأعدت العدة لاستقبال الرئيس السودانى ومن ضمن برامج الاستقبال عمل حفل كبير بالاسكندرية بقصر رأس التين تحية فرقة اضواء المدينة يرأسه المذيع الاستاذ جلال معوض وانتخب لذلك المهرجان عدد خيالى من الفنانين لاحياء الحفل الساهر بالاسكندرية.

والفنانين بدون ترتيب: عبدالحليم حافظ - شادية - صباح - نجاة الصغيرة - فائزة احمد - ليلي مراد، والمتلوجست احمد الحداد ومن الضيوف الفنانين العرب آنذاك احمد ناجى من اليمن وكان طالب بمعهد الموسيقى العربى وليلى الجزائرية في زيارة لمصر للمرة الثانية في حياتها وحسن عطية المطرب السودانى وكانت مقدمة البرنامج الممثلة الشابة زبيدة ثروت.

وصلنا جميعاً الى الاسكندرية في الميعاد المحدد وكان الضيوف من الفنانين وبعض الفنانين المصريين ينقلهم بص جميل مريح مجهز من كل شىء لأسباب الراحة وبعض الفنانين الكبار اتوا بعبائهم الخاصة ودخلنا الى المكان المخصص لنا وكان مريحاً وبجميل جداً وبدأ الاستاذ جلال معوض في قراءة البرنامج ليعرف كل مطرب دوره والساعة كام، وكان في رأس القائمة الفنان عبدالحليم حافظ وهنا حدث ما لم يكن في الحسبان اذ ان الفنان عبدالحليم حافظ بمواعيد استديو - لتسجيل اغنيه كبيرة ومحجوزة كل الاستديوهات والعازفين والمخرجين مما يستوجب وجوده بالقاهرة في اليوم التالى مرتاحاً وكان مصرأ في ذلك وله الحق.

وحدث هرج ومرج شديدين بحجة انه اذا غنى الفنان عبدالحليم لانه سيأخذ منهم «السوكسى» والاعجاب واصر عبدالحليم على موقفه وايضاً اصر الفنانون على موقفهم

وفي هذه اللحظات وصل الرئيسان وتصدرا الحفل ولم يتبقى علي بدء الحفل الا دقائق معدودات، وجن جنون الاستاذ جلال معوض صارخاً «مش ممكن يا جماعة لازم واحد ينقذنا من الموقف دا»، فتقدمت منه أنا قائلاً: «سأغنى بعد الحليم حافظ». فتنظر الى من فوق الى تحت ومن تحت الى فوق وقال لي «انت»! وردت «نعم» قال «اوركسترك جاهزة» وقلت «نعم وبرئاسة الاستاذ نصر عبدالمنصف» وقد كان الاستاذ نصر اكبر منوت موسيقى وكان يتوت لمحمد عبدالوهاب وام كلثوم وعبدالحليم وعندما تغيرت نظرة الاستاذ جلال عني لأنه وجد ان الاغنية ستعزف برئاسة نصر عبدالمنصف ومقال لي «والله جميل» وقلت له «على شرط ان ينتظرنى الاستاذ عبدالحليم لاعود معه بعربته الخاصة للقاهرة لان زوجتى معي لوحدها فى الشقة».

وكان عبدالحليم يستمع لهذا الحوار فسأل جلال عبدالحليم «إيه رأيك يا استاذ عبدالحليم»؟ فرد عبدالحليم جداً العربية فاضية يطلع معاياً على طول بس يتأخذ اغنيتهك تمام يا استاذ حسن»؟ «فردت عشرة دقائق». فرد عبدالحليم «مش معقول» فقلت «والله» وقال انتظرك وانتظر عشرة زيك.

أعلن عن عبدالحليم ودخل فغنى واطرب وفعلاً اخذ كل الاعجاب من الحاضرين كما كان متوقعا ولكن هذا لم يهنئى اطلاقاً لسبب واحد هو ان لوني الفنى يختلف عن بقية الألوان ويبدو انهم نسوا هذا الاختلاف. ثم اعلن عن اسمى ودخلت الاوركسترا المتكونة من خمسة وعشرين شخصاً وكان اللحن مقتبساً من أميركا اللاتينية وضجت الصالة بالتصفيق الحار والتهنئات وعندما انتهت وجدت ان التهتافات والتصفيق كان كلها من اخواننا السودانيين المقيمين بمصر. وعندما انتهت الاغنية وعلدت خلف الكواليس هنأتى الفنان عبدالحليم قائلاً: «والله انت عظيم والجماهير معجبة ببيك قوى، يلا بينا الى القاهرة» وعدت معه بالعربية ووجدت زوجتى مستيقظة تسمع لبقية الفنانين عبر المذياع.

خاتمة

وبعد عزيزى القارىء:-

هذه حياتى كما عشتها بكل نجاحاتها واخفاقاتها بين يديك لم احاول ان ازورها او ادعى ما ليس لى.. وقد قصدت ان انشرها للملا لان اجيال من الفنانين ابدعت وقد طوى بعضها النسيان بسبب عدم تسجيل مذكراتهم ولعل السبب يرجع الى ان بعضاً من هؤلاء كان يجهل القراءة والكتابة اما انا فقد حظيت بقدر غير قليل من التعليم مما ساعدنى في هذا الخصوص. ايضاً فقد حاولت ان اسجل الفترة الذهبية للفن والمجتمع مجتمع الثلاثينات والاربعينات والخمسينات والستينات حيث كان العيش سهلاً والحياة تحفها الرفاهية.. في هذه الاجواء ازدهر الفن وازداد معجبه ومحبوه.

وقد كان حظ ابتداء عزف العود مع الاداء الغنائى ما تقدمت به للاذاعة عام ١٩٤٠ وقد سبقنى للاذاعة الحاج محمد احمد سرور حيث قدمت اغنية خدارى وهى من كلمات الشاعر عبدالرحمن الريح ثم تواصلت اغنياتى العاطفية وتلك التى ترتبط بالمواسم والمناسبات والاعياد حتى وصل عددها الى ٢٣٥ اغنية ونشيد.

كما عملت رئيساً لاتحاد الفنانين بعد الدكتور محمد ادهم ثم نقيباً لها بعد ان سجلتها وقد كان اعضاء الاتحاد آنذاك الفنانون: احمد المصطفى، عافاه الله وحسن سليمان، ودكتور ادهم، عبد الحميد يوسف، عثمان حسين، يس بحر. كما اتاحت لى فرصة التسجيل للعديد من الاذاعات العالمية مثل صوت امريكا والبي بي سى واذاعة كولون، المانيا، وصوت فرنسا وكل الدول العربية والافريقية وكنت اول فنان يسجل لاذاعة الامارات العربية المتحدة واول فنان سودانى يغنى فى التلفزيون المصرى لزواج الملك فاروق فى الدائرة التلفزيونية التى جلبها الملك من فرنسا لتغطية حفلات زواجه لمدة اسبوع. وقد كان لى صولات وجولات ولقيت اغنياتى صدى واسعاً من الاستحسان والقبول وقد سعدت بهذا سعادة ما بعدها سعادة وقد طوقنى شعبى بأكثر ما يستحق من التقدير والعرفان ممتحت فى مهرجان تكريم الفن الغنائى «جمعية الفكر السودانى» اكتوبر ١٩٦٩ الميدالية الفضية والميدالية الذهبية بمناسبة معرض

قوات الشعب المسلحة في عيد الاستقلال العشرين وكذا وسام ذهبي من قاعة
الصدقة وميدالية ذهبية من اصدقائي بنادي الخرطوم ووشاح واهداء من مركز
شباب الربيع مايو ١٩٨٣ واهداء نادي النصر الرياضي «جمعية الفن والموسيقى
بامدرمان» بمناسبة العيد الفضي للجمعية عام ١٩٨٦.

وقد منحتني اتحاد الدبلوماسيين السودانيين العضوية الفخرية وكذا نقابة
الاطباء العضوية الفخرية، وجامعة امدرمان الاهلية وكنت احد مؤسسي نادي
الخرطوم.

ولا يخفى على القارئ ايضاً انني عمدت الى رصد الحياة والمجتمع العاصمي
آنذاك والوقوف على النشاطات الاجتماعية المختلفة وسرد سير الاحباب من
المواطنين والاجانب القاطنين في مدينة الخرطوم وقد تفيد بعض الدارسين من
هذا الجانب.

هذا ما خطر ببالي الآن ولعل القارئ الكريم قد ألم بتفاصيل هذا الكتاب
الذي رجوت ان يكون فيه بعض النفع. والله أعلم؟..

ولقائي مع الجزء الثاني من مذكراتي قريباً ان
شاء الله